خمسة وعشرون سؤالا
عن نعيم القبر وعذابه

تأليف
الدكتور السيد الجميلي

دار ومكتبة الهلال
بيروت - لبنان

دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بئر العبد - شارع مكرزل - بناية برج الضاحية - ملك دار ومكتبة الهلال
تلفون: 601020 / 601002 / 551305 (01) مقسم: 1216 خليوي: 672366 (03)
فاكس: 817745 1 (961) - ص. ب.: 5003 / 15 - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾[1] .

صدق الله العظيم

---

(١) إبراهيم (١٤ /٢٧) .

إهداء

إلى أهل الفضل في غربتهم . . .
ثم إلى الغرباء بفضيلتهم ، فطوبى لهم . .
أهدي هذه الدراسة .

السيد الجميلي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

إن الموت مصيبة كبرى تأتي على الحياة لتهدمها ، وتنقضها ؛ لكي يتحول الإنسان ، وينتقل بالموت من حال إلى حال ، فليس الموت عدما محضاً ، وليس هدماً مطلقاً ، ولكنه نقلة من هنا إلى هناك .

بينا يتوهم كثيرٌ من الناس أن الموت هو نهاية كل شيء تماماً ، فإن الواقع يؤكد أنه بداية أخرى لحياة أخرى أبدية ، حافلة بالأحداث الجسام .

" الناس نيامٌ حتى إذا ماتو انتبهوا "

هذا يؤكد أن الحياة بما فيها من غفلة ، وفتنة ، ولهو ما هي

إلا حلقة محدودة من سلسلة متصلـة الحلقات ، أو جزء محدود من الكل غير المحدود .

ثم إن من مـات فقـد قامت قيـامتـه ، ومن ثم فإن لكل أحـد قيامتـه ، وفي الأخبار والآثـار الصحيحـة ، ما يـدل على ذلك .

سـوْغـان ، وسيـان ، وشرجـان أمـام الموت قَيِّمُ العشيرة شيخها ، وشرخها ، مثلان بإزائه كبيرها وصغيرها ، لا يتخطى محدثا ليعرج على معمـر ، ويتلوم عليه ، وهو عَيانٌ قـرمٌ موزعٌ بالبشر ، منهوم بهم يُفَرِّق الفتهم ، ويبـاعد بين الأحبة ويسوق الأرواح إلى قصبات الـردى ، وهو يفـرق المجموع مـن خلصان الخلان ، ويجمع تحت الثـــرى المتفــرق من الأضـــداد وذوي الأصنفان .

إن الموت خير واعظ للبشر ؛ فهـو يبرهن للعيـان أيلولـة العمر مهما طال إليه ، وانتهاء الحياة مهما امتدت ، وهو الصارم الحازم الذي لا يقبل مراوغة أو مراودة .

إن منهاجه وأسلوبـه يسلب العقول ، ويشدد النكير على المناكير الـذين يَروْن منه واعظـاً جاداً حازمـاً ثم لا ينتهون ، ولا يـرعـوون ، وهم في غَيِّهم وجهـالتهم سـادرون ، وقـد انحلت عروتهم ، وانفـرط عقد نظـامهم ، وتصرمت شعرة معـاوية فيما بينهم .

إن الموت لا يقبل عـوضاً ، ولا ينشد بـديلاً عـن المرصود

المستهـدف ، وكم تمنى ورغب عـزيـزٌ أن يفتـدي عزيـزاً عليـه بروحه ، وحشاشته ، بيد أن المطلوب غير معدول عنه إلى سواه ، والناس كلهم أخيافـاً وأوزاعاً وعامة يعرفـون ذلك حق المعرفة ، وحق اليقين ولـلأسف لم يعملوا لهذه اللحظـات الحاسمة ، ولم يستعدوا لها ما خلا قليلا منهم وهم الصالحون الناجون بإذن الله من غضبه وعقـابه ، لكن الجمهرة يـروْن النذير كل يـوم فما ثبتوا ولا أخبتوا ، وهم يتجاسرون على حرمات الله .

إن الحياة بعد الموت قضية محسومة ، مقطوع بها ، لا مرية فيهـا ، لا يخالطهـا ترجم ، ولا يـداخلهـا تظني ، ولا يخالجهـا حدس ولا يخامـرها تحزير ، ولا يقربها تخرص أو إرجـاف ـ وهي حيـاة أبـديـة خليق بها وقمين بخطـورتها ودرجتهـا من الأهميـة والإعتبار ، أن تكون غاية وهدفاً نبيلاً ، ومقصداً لا مصرف عنه ولا تحويل عن التفكير فيــه ، فإن النـاجين منعمــون في هــذه الحيـاة ، والهالكين معـذبون عـذابـاً وبيـلاً ، فنسأل الله اللطف والسلامة .

من أجمل مـا قـرأت في هذا الصـدد مـا ذكـره الجاحظ في البيـان والتبيين في تعزيـة بعض الملـوك حيث قال قـائل : " إن الخلق للخالـق ، والشكر للمنعم ، والتسليم للقـادر ، ولا بد مما هو كـائن ، وقد جاء ما لا يرد ، ولا سبيل إلى مـا قد فات ، وقد أقام معك ما سيـذهب عنك أو ستتركه ، فما الجزع مما لا بد منه ؟ ومـا الطمع فيما لا يرجى ؟ ومـا الحيلة فيما سينقل عنك ،

أو تنقل عنه ؟ وقد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد ذهاب الأصل ؟

أهل الدنيا في سفر لا يحلون الركائب إلا في غيرها وما أحسن الشكر عند النعم ، والتسليم عند الغير .

إن المصيبة من المصيبة سوء الخلف منها ، إن نسيت الصبر، فلا تنسَ الشكر ، وكلاً فلا تدع ، واحذر من الغفلة استلاب النعم ، وطول الندامة " أهـ . بتصرف .

فلا تنال نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يجاد بصديق صدوق إلا بفراق ومزايلة حبيب وديد خدين ، ولا يستقبل امرؤ يوما من عمره إلا بقدر ما ينفلت من عمره مقابل له ، ينهدم من أجَلِه لِأَجْلِه ، ولا يزداد من أكله إلا بنفاد ما يوازيه من رزقه .

إننا أعوان الحتوف على أنفسنا ، وما رفعت شؤون إلى غاية المرتقى ، إلا تظاهرت عليها الأيام لنقضها ، ودحضها ورحضها .

وما اجتمع خلصاء إلا كان التفريق ساعياً إليهم ، آتياً عليهم ، وإن خيراً من الخير معطيه ، وإن شراً من الشر فاعله .

* * *

لما كانت الحياة بعد الموت حقاً لا تخالجه ريبة كما أسلفنا

وإذا كان نعيم القبر وعذابه حقاً لا اختلاف عليه ، كان أيضاً حقاً علينا لك أيها القارىء ، وواجباً شرعياً صريحاً محضاً ـ أن تعاود الكلام عليه ، والحديث عنه ، وبسط القول في مواضع الإثارة فيه ، فإن الأمر جد خطير ، والأحداث جسام .

إننا بواشجة الدين ، وعروة الإسلام نقدم إليك أيها القارىء هذه التذكرة ، ونحن نذكر أنفسنا ونذكرك دائماً بالمسارعة المسارعة والنجاء النجاء فإن النهاية غيبٌ غير معروف ، فالبدار البدار قبل أن يولّي العمر ، وقبل فوات الأوان ـ المسارعة بالعمل الطيب المبرور المحض الخالص المقصود به وجه الله الكريم .

في هذا الكتاب جمعنا متفرقاتٍ أشتاتاً من أسئلة القراء التي وصلت إلينا على مدى بعيد من مختلف أرجاء المعمورة ممن قرأوا ما كتبناه في هذا الموضوع سلفاً ، وأرادوا مزيداً من الإيضاح لما استعجم عليهم أمره .

وقد عمدنا إلى ترتيب هذه الأسئلة ، وبذل قصارى الجهد في اختصار الإجابة وتركيزها في بعض الأحيان ، مع الشمول والإحاطة .

هذا ما وفقنا إليه فإن كان ثمة سهو أو خطأ ، أو نسيان

فمن الشيطان ومني ، وحسبي أنني قد أفرغت الجهد ، وصرفت الهمة إليه ، وأخلصت النية ، وإن كان ثمة توفيق وتسديد فمن الله تعالى وهو على كل خير مستعان به .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

القاهرة في يناير ١٩٩٢م ، رجب ١٤١٢هـ

السيد الجميلي

القبر ومنزلته

" ما أصل تسمية القبر وما حكمه ، وما منزلته بين الدنيا والآخرة ؟ "

القبر واحد القبور ، وهذا جمع كثرة ، وجمع القلة منه أقبر.

قيل إن أول من سَنَّ القبر الغراب عندما قتل قابيل أخاه هابيل ، فلما أخذته الحيرة ، قيَّض الله تعالى له غراباً يريه كيف يواري سوأة أخيه . وعلى لسانه قال تعالى : ﴿ يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواريَ سوأة أخي فأصبح من النادمين ﴾ (١) .

(١) المائدة(٥/ ٣١) .

قال المفسرون : لم يكن ندمه على قتل أخيه ، بل على حمله على عنقه أو على عدم اهتدائه للدفن الذي تعلمه من الغراب ، أو على فقده أخاه ، أو على قتل أخيه ، لكن مجرد الندم ليس بتوبة ، إذ إن التوبة تتحقق بالإقلاع ، والعزم على عدم العودة ، وتدارك ما يمكن تداركه . قال ابن عباس : لو كانت ندامته على قتله ، لكان الندم توبة له .

القبر إذاً جُعِلَ لمواراة الميت ، إكراماً له ، فلم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله الطير والعوافي .

قال تعالى : ﴿ ثم أماته فأقبره ﴾(١) .

يقول اللغويون : قبرتُ الرجل ؛ أي دفنته ، وأقبرته : جعلت له قبراً يدفن فيه .

أما حكم القبر أن يكون مسنماً مرفوعاً على وجه الأرض قليلاً ، غير مبنيّ بالطين والحجارة والجص ، حيث إن ذلك منهيّ عنه . وقد روى الإمام مسلم في صحيحه ، وخرَّج الإمام الترمزي في جامعه الصحيح كلاهما عن جابر - رضي الله عنه - " نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه " وهذه الرواية بلفظ مسلم " (٢) .

ورواية الترمذي بلفظ : " نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور ، وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ " .

قال أبو عيسى : " هذا حديث صحيح " (٣) .

وفي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدى ، قال : قال لي علي ابن ابي طالب - رضي الله عنه - ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ لا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته " (٤) .

(١) عبس (٨٠ / ٢٧) راجع كلام أبي عبيدة والفراء في الطبري (٣٠ / ٣٦) والقرطبي (١٩ / ٢١٧) ولسان العرب (٤ / ٣٧٩) والخازن (٤ / ٢١٠) .
(٢) مسلم (٢ / ٦٦٧ / ٩٧٠) .
(٣) الترمذي (١٠٥٢) .
(٤) مسلم (٢ / ٦٦٦ / ٩٦٨ ، ٩٦٩) .

وفي سنن أبي داود ومن مراسيله عن عاصم بن أبي صالح : " رأيت قبر النبي ﷺ شبراً أو نحو شبر يعني في الإرتفاع " (١) .

* * *

أما منزلة القبر فإنه أول منازل الآخرة ، لقوله ﷺ في الحديث المروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ : أن رسول الله ﷺ قال : " إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه أحد ، فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه " (٢) .

ويقول ﷺ : " ما رأيت منظراً قط ، إلا والقبر أفظع منه " (٣) .

وخرج ابن ماجة في السنن عن البراء : قال : كنا في جنازة مع رسول الله ﷺ ، فجلس على شفير القبر فبكى ، وأبكى حتى بل الثرى ثم قال :

" يا إخواني ، لمثل هذه فأعدوا " (٤) .

---

(١) أبو داود في السنة .

(٢) ابن ماجة (٤٢٦٧) والمقاصد الحسنة (٣٠٢) والكشف (٢ / ٩٠) .

(٣) الترمذي (٢٣٠٨) .

(٤) ابن ماجة (٤١٩٥) .

تأذي الميت من جار السوء

ما حقيقـة أن الميت يتأذى من جار السـوء ؟ وهل ورد في الأخبار الوثيقة ما يدل على ذلك ويدعمه ؟؟ . .

ورد عن مالك بن أنس عـن عمه نافع بن مـالك عن أبيه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

" ادفنـوا موتـاكم وسط قوم صـالحين . فإن الميت يتأذى بالجار السوء " (١) بيد أن فيه سليمان بن عيسى متروك ولئن كان الإنسـان في الحياة الـدنيا الفـانية يتأذى بجـار السوء ، فإنـه في الحياة الباقية الخالدة أكثر تأذياً ، وأشد ضيقاً بالجار السوء .

---

(١) ضعيف الجامع (٣٦٣) والمقاصد الحسنة (٤٧) والحلية (٦ / ٣٥٤) لذلك قـال علماؤنا : «ويستحب أن تقصـد بميتك قبـور الصالحين ، ومـدافن أهل الخير، فتدفنه معهم ، وتنزله بإزائهم ، وتسكنه بجوارهم » أ هـ .

ولعل هـذا محمول على تأثـر الميت بـالجار السوء من جهـة إشفاقه عليه ، وحدبه لما يعاني منه[١] .

أما القـائلون بأن أحداً يحمل عن أحدٍ شيئـاً ، فهم بذلك من الغـالين في الـرأي والنظـر ، لأن قولهم معـارض لـلأخبـار الصحيحة الصريحة المنصـوص عليها في القرآن الكريم والمتـواترة في السنة الشريفة .

(١) لئـلا يتوهم واهم أن هـذا التأذي عـذاب ، لأن أحداً لا يحمل عن أحـد شيئا ، لقولـه تعالى : « ولا تزر وزارة وزر أخرى » وقـوله تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة » .

كلام القبر للمقبور ، إذا وضع فيه

" . . قيل إن للقبر كـلامـاً للمقبـور إذا وُضِعَ ، وأُدرِجَ فيـه ، واختلف في ذلك ، فهل هـذا على الحقيقة ؟ ومـا مـدى صحة ذلك ؟ . . " .

ورد في صحيح الترمذي[1] عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : دخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأى ناساً يكثرون ، فقال : أمـا أنكم لو أكثـرتم ذكـر هازم اللذات الموت ، فـإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه ، فيقول : أنا بيت الغربة ، وأنا بيت الـوحدة ، وأنـا بيت التراب ، وأنا بيت الـدود . فإذا دفن العبد المؤمن ، قال له القبر : مرحباً وأهلاً ، أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهـــري إليَّ ، فإذا وليتك اليـــوم ، وصرت إليَّ فسترى صنيعي بك فيتسع لـه مـد بصره ، ويفتح لـه بـاب إلى الجنـة ، وإذا دفن العبـد الفاجـر أو الكـافـر قال لـه القبر : لا

---

(١) الترمذي (٢٤٦٠) .

مـرحباً ، ولا أهـلاً . أمـا إن كنت أبغض ما يمشي على ظهـري ٠ ً، فإذا وليتك اليـــوم ، وصرت إليَّ فسترى ٠منيعي بك ،٩ إلي قال : " ويلتئم عليه حتى يلتقي ، وتختلف أضلاعه " قال : " قال رسول الله ﷺ بأصابعـه فأدخل بعضها في جوف بعض " . قال : " ويقيض الله له تسعين تنيناً ، أو قال : تسعة وتسعين ، لو أن واحداً منهـا نفخ في الأرض ما أنبت شيئاً ما بقيـت الدنيا ـ فتنهشـه حتى يفضي بـه إلى الحسـاب ، قال : وقـال رسـول الله ﷺ : " إنما القبر روضـة من رياض الجنـة ، أو حفرة من حفـر النار " (١) .

وقد قال بعض الحفاظ : إنه ضعيف .

وورد في بعض الأخبـار : يجعل الله للقبر لسـانـاً ينطق بـه فيقول :

" يا ابن آدم كيف نسيتني ؟ أمـا علمت أني بيت الدود ، وبيت الوحدة ، وبيت الوحشة " (٢) .

وذكر الإمام القرطبي في التذكرة (٣) .

" يقول القبر للميت إذا وضع فيه : ويحك يا ابن آدم ، ما غرك بي ؟ ألم تعلم أني بيت الفتنة ، وبيت الظلمة وبيت الدود ، مـا غرك اذ كنت تمر بي فـداداً ؟ قـال : " فإن كان مصلحـاً ،

---

(١) قال أبـو عيسى : هذا حـديث غريب . الترمـذي (في الجامع الصحيح) والمقاصد الحسنة للسخاوي (٣٠٢) والكشف (٢ / ٩٠) وضعفه السخاوي .

(٢) التذكرة للقرطبى (١ /١٤٧) بتحقيق السيد الجميلي .

(٣) السابق (١ /١٤٨) بتصرف .

أجـاب عنه مجيـب القبر ، فيقول : " أرأيت إن كـان ممن يأمـر بالمعروف ، وينهى عن المنكـر " ؟ قال : فيقول القبر : ﴿ فإني أعود ، عليـه خضراً ، ويعود جسـده نوراً ، وتصعـد روحه إلى رب العالمين ﴾ (١) .

ذكر عن ابن المبـارك أنه قال : أخبرنا داود بن نـاقد ، أنه قـال : سمعت عبـد الله بن عبيـد بن عمير يقـول : بلغني أن الميت يقعد في حفرته ، وهـو يسمع وخط مشيعيه ، ولا يكلمه شيء من حفـرتـه ، فتقـول : ويحك يـا ابـن آدم ، أليس قـد حذرتني وحذرت ضيقي ، وظلماتي ، ونتني ، وهـولي ، هذا ما أعددت لك ، فما أعددت لي ؟ (٢) .

وسـواء كـان هـذا الكـلام على الحقيقـة ، أو على سبيل المجـاز، فإن العبرة قائمـة ، وإن كـان على لسان الحال فهـو لم يتعد الحقيقة ، ولم يخرج عن الواقع .

---

(١) الفداد : هو الذي يقدم رجلاً ، ويقدم أخرى .

(٢) قيل لبعض الزهـاد : ما أبلغ العظـات ؟ قال : النظر إلى محلـة الأموات . وقال سفيـان الثوري : من أكثر ذكـر القبر ، وجده روضة من ريـاض الجنة ، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار .

ضغطة القبر للصالح والطالح

" . . . مـا حقيقـة ضغطـة القبر ؟ وهل تكـون للـرجل الطالح وحده أم أنها قد تحدث للصالح كذلك ؟ وهل من أدلة جلية على ذلك ؟؟ . . " .

ضغطة القبر حق . ويـؤكد ذلك أكثر من دليل وبـرهان من المرويـات والأحـاديث الصحيحـة وهي تحدث للمـؤمن الصالح ، كما تحدث للطالح والمجـرم الأثيم . . . بيد أن البون شاسع ، والفـرق جد كبير بين هـذا أو ذاك . . . فهي للمؤمن تمحيص وتطهير ، ورفع لـدرجتـه عنـد ربـه ، وهي للفـاسـد الفاسق الأثيم المجرم زيادة إعنات ، وتشديد وإحصار عليه .

ورد في حديـث شعبة بن الحجاج بـإسناده عن عـائشة ـ رضي الله عنه ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : " إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ "

وورد في الآثار أن جنازة سعد بن معاذ قد شهدها سبعون ألف ملك .

ذكر القرطبي [1] أنه قال ﷺ : " لقد ضم صاحبكم في القبر ضمة " .

ذكر الإمام النسائي [2] عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال : " هذا الذي تحرك له عرش الرحمٰن ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة ، لقد ضم ضمة ، ثم فرج الله عنه " .

إذا كان سعد بن معاذ هذا الذي اهتز له عرش الرحمن قد ضم في قبره هذه الضمة ، وهو من هو . . . فما بالنا نحن المذنبين المقصرين . . . ألسنا في غفلة ، وأليس خليقا بنا أن نصرف الهمة إلى هذا الأمر الخطير بالمسارعة إلى التوبة والإنابة والعمل الصالح ومع هذا كله ، وقبله حسن الظن بالله تعالى ؟ بلى ورب الكعبة .

ليس هذا وحسب ، بل إن زينب بنت رسول الله ﷺ قد ضغطها القبر ضغطة شديدة ، فلما دعا لها أبوها عليه الصلاة والسلام سُرِّي عنها [3] .

---

(١) التذكرة بتحقيق السيد الجميلي (١ / ١٥٠) .

(٢) السنن (٤ / ١٠٠) قال أبو عبد الرحمن النسائي : يعني سعد بن سعاذ .

(٣) ذكر القرطبي في التذكرة (١ / ١٥١) أنه صلى الله عليه وسلم قال : «ذكرت ابنتي وضعفها ، وعذاب القبر ، فدعوت الله ففرج عنها ، وايم الله . لقد ضمت ضمّةً سمعها ما بين الخافقين» أ هـ . بتصرف .

أفليس هـذا بـدليل على خطـورة الموقف ، وشـدة الأمـر وصعـوبة المقـام ؟ بلى ورب الكعبـة . . . لكن ثبت أن فاطمـة بنت أسـد بـن هـاشم ، أم علي بن أبي طـالب قـد نجت من عذاب القبر .

قال ﷺ : " ما عُفي أحدٌ مـن ضغطة القبر ، إلا فاطمة بنت أسد " .

قيل : يـا رسـول الله : ولا القـاسم ابنك ؟ قـال : " ولا إبراهيم " وكان أصغرهما (١) .

وقـد ورد أنـه ﷺ لما مـاتت فـاطمـة بنت أسـد ، دخل عليهـا ، وجلس عند رأسهـا فقال : رحمك الله يـا أمي ، كنت أمي بعـد أمي ، تجوعين وتشبعينني ، وتعـرين ، وتكسينني ، وتمنعين نفسك طيب الطعـام ، وتطعمينني ، تـريـدين بـذلك وجه الله ، والدار الآخرة .

وعندما حفـر قبرها ، وبلغوا اللحد حفـره رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال : " الحمد لله الذي يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، إغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ، ووسع عليها مدخلها بحمـد نبيك والأنبياء الذين من قبلي إنك أرحم الراحمين (٢) .

---

(١) قطعة من حديث طويل ، رواه أبو نعيم الحافظ عن عاصم الآحول ، عن أنس بنحوه ، ونقله الإمام القرطبي في التذكرة(١ /١٥١) .

(٢) بعـد ذلك كبر عليهـا أربع تكبيرات ، ثـم أدخلهـا اللحـد ، هـو وعمـه العباس ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين .

يعذب الميت بما نيح عليه

كيف يعـذب الميت ببكـاء أهلـه عليـه ، مـا ذنبـه فيما لم يكسبه ويقترفه هو ؟ أوليس هذا معارضاً لقوله تعالى في كتابه : ﴿ ولا تزر وزارة وزر أخرى ؟؟ ﴾ .

حـرَّم رسـول الله ﷺ النيـاحـة [١] على الميت فقـال عليـه الصلاة والسلام : " أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخـر في الأحســاب ، والطعن في الأنســاب ، والاستسقـاء بالنجـوم ، والنياحة . وقـال : النائحـة إذا لم تتب قبل موتها ، تقـام يـوم القيـامـة ، وعليهــا سربـال من قطـران ، ودرعٌ من جرب " [٢] .

ثم روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : " اثنان

(١) النياحة : العويل والنشيج المرتفع على الميت ، وهذا أمر زائد على البكاء ، قيل إن النوح ما كان الجاهليون يفعلون .

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (٢ /٦٤٥) والبيهقي (٤ /٦٣) من حديث أبي مالك الأشعري ، وحسنه السيوطي في الصغير (١ /٣٧) .

في النـاس هما بهما كفـر : الطعن في النسب ، والنيـاحـة على الميت " (١) . بل إنه لما مات إبراهيم ابنه ﷺ قال : (٢)" ليس هذا مني ، إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ولا نقول ما يغضب الرب " وأخرج الشيخان في الصحيحين عن أنس بن مالك :

أن عمر بن الخطاب لما طُعِنَ عوّلت عليه حفصة ، فقال: يـا حفصـة ، أمـا سمعت رسول الله ﷺ يقـول : المعـوَّل عليـه يعذب ؟ ! !

وعوَّل عليـه صهيب يقول : واأخـاه ! واصاحبـاه ، فقال عمر : يا صهيب ، أما علمت أن المعول عليه يعذب ؟!

وفي روايـة : إن الميت ليعـذب ببكـاء أهلـه عليـه ، وفي أخرى : من قبره بمانيح عليه(٣) .

وأخرج الشيخان أيضاً :

" إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه " وفي رواية أخرى : " الميت يعـذب في قبره بمانيح عليـه " (٤) وقد أخـرجه أبـو داود في السنن(٣/ ٤٩٤/ ٢٩/ ٣) .

---

(١) مسلم)٩٢٧-٩٣٣) بنحوه والبيهقي(٤ /٦٣) .

(٢) عن أبي هريرة ، وقد رواه الحاكم (١ /٣٨٢) وابن حيان (٧٤٣) .

(٣) البخاري (٢/ ١٨٠/ ١٣٠٤) ومسلم (٢ /٦٣٨/ ٩٢٧ ـ ٩٣٣) والبيهقي (٤ /٧٢ ، ٧٣) والإمـام أحمد في المسنـد (١ /٣٦و ٤٢) و (١ /٤٥) عن عمـر مختصراً ومطـولاً ، وبنحـوه .

(٤) أخرجه بنحوه البخاري ومسلم ، وأحمد في المسند (١ /١ , ٤٢) .

كما أخـرج الشيخـان والبيهقـي وأحمد في المسنـد أنـه ﷺ قال : " من ينح عليه يعذب بمانيح عليه يوم القيامة " (١) .

قـال علماؤنـا ليس المراد بـذلك مطلق البكـاء في هـذا الحديث والـذي قبلـه ، بل المقصود النيـاحـة ، إذ إن الحديث الـذي قبلـه عام وهـذا الحديث خـاص . أو إن شئت فـالأول مطلق والأخير مقيد . وكثير من الأصـوليين يحملون المطلق على المقيد .

قيل إن هذا الحديث ، والذي قبله فيهما إشكال حيث إن كلا الحديثين يتعارضـان مع أصول الشريعة ، وقواعـدها المتفق عليها ، لقوله تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .

كما أن العلماء قـد ذهبـوا مذاهب شتى ، وذلك عنـدمـا سلكوا سبيل التأويل .

لكن صفوة القـول الذي نراه حقاً وصـدقاً وصواباً هـو ما ذهب إليه الجمهـور للتوفيق بين النصوص لدفع شبـه التعارض هذا ، وهذا فحواه أن الحديث محمولٌ على من أوصى بذلك أي بالنـوح عليه ، أو لم يـوصِ بتركه مع علمـه بأن النـاس يفعلون ذلك عادة ، هذا هو الراجح الذي نرتضيه ونطمئن إليه .

أما القول الأخير ، وهو أقل رجحانا ، وأدنى حجية ، أن

---

(١) المسند (٢/ ٦١) و (٤/ ٢٤٥ و ٢٥٢ و ٢٥٥) .

معذب) أي يتألم بسماعه البكاء ، والنياحة من أهله ،
... في البرزخ وليس في عرصات القيامة ، وليس هذا عقاباً على
ذنب ، ولكنه عذاب ـ وهو أعم من العقاب ـ وهو تعذيب وتألم
وقد اعتمد هذا الرأي شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن قيم
الجوزية ، وشيخ المفسرين الإمام محمد ابن جرير الطبري ،
وغيرهم .

عذاب القبر حقٌ

" . . . قـال ﷺ في الحديث الصحيح (عـذاب القبر حق) ونـريد دليـلاً على ذلك من القرآن الكـريم ، مع التفضل ببيان وتـوضيح هل هذا العذاب مستمر أم مـوقوت محدود بفترة معينة ، يتوقف بعد ذلك؟ . . " .

نعم لقد قال ﷺ : " عذاب القبر حق " [1] وقد ورد في القرآن الكـريم بصريح النص التقـرير بـذلك في قولـه تعالى : ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ [2] .

---

(١) التذكرة للإمام القرطبي ، بتحقيق السيد الجميلي .

(٢) غـافـر (٤٠ /٤٦) كما ورد في تفسير القـرطبي (١٥ /٣١٩) الحديث أن أرواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار تعرض على النار بالغداة والعشي » أ هـ . بتصرف ويقول الزمخشري في تفسيره الكشاف (٣ /٤٣٠) : ـ «ويستدل بهذه الآيـة على إثبـات عذاب القبر » أ هــ . وهـذا مـا قرر الفخـر الـرازي في التفسير الكبير (٢٧ /٧٤) .

قال المفسرون : المراد بالنار هنا (نار القبر) وعذابهم في القبور ، بدليل قوله بعده : ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ أي ويوم القيامة يقال للملائكة أدخلوا فرعون وقومه نار جهنم التي هي أشد من عذاب الدنيا . وقد ذكر القرطبي في تفسيره (١٥ / ٣١٨) : " واحتج بعض أهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) ما دامت الدنيا ، كذلك قال مجاهد ، وعكرمة ، ومقاتل ، ومحمد بن كعب قال : هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا . أهـ .

يقول الفخر الرازي : " ثبت أن هذا العرض إنما حصل بعد الموت ، وقبل يوم القيامة ، وذلك يدل على إثبات عذاب القبر في حق هؤلاء ، وإذا ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم "(١) أهـ .

وقد تقدم الكلام على ضغطة القبر وذكرنا بعض الأحاديث الواردة فيها .

وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من عذاب القبر ومن فتنته ، فكان عليه الصلاة والسلام يقف عند القبر قليلاً بعد الدفن ثم يدعو للميت بالتثبيت ويقول :

" استغفروا لأخيكم ، واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل "(٢) .

---

(١) التفسير الكبير (٢٧ / ٧٤) بتصرف .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٢/ ١٨٧ / ١٣٢٧) و (٥/ ١٤٤ / ٣٨٨١) .

وقال : " هذه الأمة تفتن في قبورها " .

وروى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ وقف على قبر رجل من أصحابه حين فرغ منه فقال : " إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم نزل بك ، وأنت خير منزول به ، جاف الأرض عن جنبيه ، وافتح أبواب السماء لروحه ، وأقبله منك بقبول حسن ، وثبت عند السؤال منطقه " وهو حديث غريب من حديث عطاء .

قال تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ (١) .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ﴾ (٢) هو عذاب القبر ، لأنه تعالى ذكره عقب قوله تعالى : ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ (٣) .

قال ابن عباس : هو عذاب القبر (٤) كذا قاله ابن مسعود .

***

إن الحياة البرزخية وهي ما بين الموت إلى يوم القيامة ،

---

(١) طه (٢٠ / ١٢٤) قال أبو سعيد الخدري ، وعبد الله ابن مسعود : ضنكا : هو عذاب القبر .

(٢) الطور (٥٢ / ٤٧) .

(٣) الطور (٥٢/ ٤٥) . قال أبو هريرة : يضيق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، وهو المعيشة الضنك .

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٨ /١٥٣) .

كلها غيب عنا ، ولا نستطيع القطع بما يجري فيها إلا بما وصل إلينا من نصوص وأخبار ، وذلك لأن القول أو الكلام على ما يجري فيها يكتنفه كثيرٌ من الإبهام والغموض .

أما عن فترة العذاب ، أو التنعيم في القبر ، فإنها متغيرة ، غير ثابتة من ميت إلى آخر ، حسب عمله ، وقبوله ، وورعه وتقواه ، وما إذا كان مات على التوحيد أم لا .

إن عذاب القبر يختلف باختلاف أحوال العصاة فيه ، بحسب اختلاف معاصيهم .

ثبت عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أكثر عذاب القبر من البول " (١) .

وثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : مَرَّ النبي ﷺ على قبرين ، فقال :

" إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول ، فدعا بعسيب رطب فشقه بإثنين ، ثم غرس على هذا واحداً ، وعلى هذا واحداً ، ثم قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا " (٢) .

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٤٣٨) .

(٢) البخاري (٢ /٢٠٦ /١٣٧٨) و (٨ /٣٠ /٦٠٥٢) و (٦٠٥٥) ومسلم (١ /٢٤) وأبو داود (١ /٢٥ /٢٠) وقد ذكر هذا الحديث الإمام القرطبي في التذكرة (١ /١٩٣) . وفي سنن أبي داود (وكان لا يستتر من بوله) وفي رواية البخاري (وما يعذبان في كبير وإنه لكبير) .

ومثلما يكون التعذيب في القبر فإنّ التنعيم أيضاً يكون فيه لعباد الله الصالحين ، الخاشعين المخبتين ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

ومثلما قال ﷺ : " عذاب القبر حق " فإن نعيمه أيضاً حق للأحاديث والدلائل الواردة عنه ﷺ في ذلك .

وقد ذكر النسائي (١) عن عائشة قالت : " دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة من اليهود ، وهي تقول : إنكم تفتنون في القبور ، فارتاع رسول الله ﷺ وقال : " إنما يُفتن يهود " قالت عائشة : فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله ﷺ : " هل شعرت بأنه أوحي إليَّ أنكم تفتنون في القبور ؟ قالت عائشة : فسمعت رسول الله ﷺ يستعيذ من عذاب القبور " .

وقال ﷺ : " إنه قد أوحي إليَّ أنكم تفتنون في القبور قريباً " (٢) .

---

(١) في السنن (٤/١٠٥) و (٨/ ٢٧٥) وهو في رواية أخرى عند النسائي بنحوه(٣/١٣٥) .

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه وأخرج البخاري في الصحيح (٢/٤٣/٩٢٢) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه : ـ « كان رسول الله ﷺ يدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا ، ومن فتنة المات ، ومن فتنة المسيح الدجال » .

عذاب القبر تسمعه البهائم

" . . . أخرج بعض الأئمة أحاديث تقول إنه من الممكن سماع عذاب القبر ، فهل هذه الأحاديث صحيحة أم معلولة . أم غير ذلك ؟ وما الدليل على ذلك ؟ . . " .

أخرج الإمام مسلم في الصحيح عن زيد بن ثابت من حديث طويل قوله ﷺ : " إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا ، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع " (١) .

---

(١) مسلم (٤ /٢٢٠٠ /٢٨٦٧) وصححه السيوطي في الصغير (٢ /١٣٢) كتم سبحانه وتعالى عنا عذاب القبر لئلا نخاف القرب من القبر للدفن ، حتى لا يهلك الأحياء عند سماعه ، حيث إن العذاب في القبر شديد عنيف ، والمقبور ضعيف ، نسألك اللهم اللطف والسلامة .

كما قال عليه الصلاة والسلام : " يهود تُعَذَّبُ في قبورها عذاباً تسمعه البهائم " [1] .

وحري ، وقمين بمثل هذا العذاب المروع الرهيب ألا يغيب عن الذهن ، أو يعزب عن البال ، من ثم كان ﷺ ينبه أمته إلى هذا أو يلفت نظرهم إليه عندما قال اكثروا ذكر : " هازم اللذات " [2] وهو حديث صحيح .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٠٠ / ٢٨٦٧) والإمام أحمد في المسند (٥ / ٣٤٥) وفيه أيضا بلفظ (قبورهم) في (٥ / ٤١٧) .

(٢) المقاصد الحسنة للسخاوي (٧٤) والكشف (١ / ١٦٥) وصحيح الجامع (١/ ٣٨٧/ ١٢٢٢) وحسنه السيوطي كذلك .

سماع الموتى الأحياء

" . . . قيل إن الموتى يسمعــون في قبـورهم ، ويــردون السلام على من يسلم عليهم ، وحديث قليب بـدر شاهدٌ على ذلك فكيف التوفيق بين هذا ، وبين نص القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فإنك لا تسمع الموتى ﴾ الروم ٥٢ وقـوله ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور . . . ﴾ .

هذه قضية حيوية أثارت جدلاً طويلاً ، وحيرة شديدة ، إذ إن الأحـاديث الـواردة في سماع الموتى في قبــورهم أحـاديث صحيحة متواترة لا يمكن إنكارها ، ثم إنَّ آيات القرآن الكريم تنص على نفي السماع للموتى . .

فإذا ما تعارضت النصوص في الظـاهر وكان كلا النصين صحيحـاً فإنــه لا بـد من البحث عن طــرق للتأويل ، إذ لا مندوحـة عن ذلك حتى يتم التوافـق بين الاصلين ، فإن القرآن الكـريم هو الأصل الأول ، والسنـة النبـوية الصحيحـة ، هي

الأصل الثاني ، ومتـى كان الأصلان صحيحين ، فإنـه يستحيل التعـارض ، من ثم كان لا بـد من البحث والإستقـراء والتنقيب عن أدلة التـوافق ، وقد نلجأ إلى الصرف عن الظـاهر ، لما يقبل ذلك من أي من النصين .

إن الـذين أقـروا بالسماع حسب الأحـاديث الصحيحـة ، سلكـوا سبيل التأويل لآيـات القـرآن الكريم النـافيـة للسماع ، وقالوا : إنه نهي عن سماع الإنتفاع ، أما الذين أقروا بعدم السماع حسب ظاهر الآيات فقد اضطروا إلى تأويل الأحاديث .

وهذا مختصر جـامع لهذه الأقوال ورأينا في النهايـة ، ولعله يكـون صــوابـاً ، والله المستعــان : يقـول الإمــام الألـوسي في تفسيره[1]: قـال تعـالى : ﴿ فـإنك لا تسمع الموتى ، ولا تسمع الصم الدعـاء إذا وَلَّوا مـدبرين ﴾ [2] يقول الألـوسي في تفسير هذه الآية : " هذا تعليل لما يفهم من الكلام السابق كأنه قيل : لا تحزن لعدم اهتـدائهم بتذكيرك ، فإنك . . الخ بيـد أنّا نـذكر هنا ما ذكره العلماء في سماع الموتى» [3] فنقول : نقل العلامة ابن الهمام أنه قـال أكثر مشـايخنا على أن الميت لا يسمـع ، استدلالاً بقوله تعـالى : " إنك لا تسمع من في القبور " [4] ونحوها يعني

---

(١) روح المعاني (٢١ / ٥٤) وما بعدها .

(٢) الروم (٣٠ / ٥٢) .

(٣) النحل (٢٧ / ٨٠) راجع مختصر ابن كثير (٢ / ٦٨٢) .

(٤) فـاطـر (٣٥ / ٢٢) راجع تفسير ابن الجوزي (٦ / ٤٨٤) وجـامع البيـان للطبري (٢٢ / ٨٤) والبحر المحيط لأبي حيّان (٧ / ٣١٠) .

من قـوله تعـالى : ﴿ وما أنت بمسمعٍ من في القبـور﴾ ولذا لم يقولوا بـالتلقين على القبر . وقالوا : لَو حلف لا يكلـم فلاناً ، فكلمه ميتاً لا يحنث .

وحكى السفارين في البحور الزاخرة أن عائشة ذهبت إلى نفي سماع الموتى ووافقها طائفـة من العلماء على ذلك ، ورجحه القاضي أبـو يعلى من أكـابر الحنابلـة في كتابـه الجامع الكبير ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ وذهبت طائفة بل طـوائف من أهل العلم إلى سماعهم في الجملـة ، وقـال ابن عبـد البر : إن الأكثـرين على ذلك وهـو اختيـار ابن جـريـر الطبري ، وكـذا ذكـر ابـن قتيبـة وغيره ، واحتجـوا بها في الصحيحين عن أنس عن أبي طلحة ــ رضي الله عنهما قالا : لما كان يـوم بدر وظهـر عليهم يعني مشركي قريـش رسول الله ﷺ أمر ببضعة وعشرين رجلاً ، وفي روايـة " أربعة وعشرين رجلاً " من صنـاديد قـريش فألقـوا في طـوي من اطواء بـدر ، وأن رسـول الله ﷺ نـاداهم : يـا أبا جهل بن هشـام ، يـا أميـة بن خلف ، يا عتبة ابن ربيعة ، أليس قـد وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً .

فقـال عمر رضي الله عنـه : يـا رسول الله ، مـا تكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال : والذي نفس محمـد بيده ، ما أنتم

بأسمع لما أقول منهم ، وزاد في رواية لمسلم عن أنس :

" ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا " [1] .

وبما أخرجه أبو الشيخ من مرسل عبيد بن مزروق قال : " كانت امرأة بالمدينة تقم المسجد ، فماتت ، فلم يعلم بها النبي ﷺ ، فخر على قبرها فقال ﷺ : ما هذا القبر ؟

فقالوا : أم محجن . قال : كانت تقمّ المسجد ، قالوا نعم ، فصف الناس ، فصلى عليها ، فقال ﷺ : اي العمل وجدت أفضل ؟

قالوا : يا رسول الله ، أتسمع قال : ما أنتم بأسمع منها .

فذكر عليه السلام أنها أجابته .

واحتجوا بما رواه البيهقي ، والحاكم ، وصححه ، وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي ﷺ وقف على مصعب بن عمير ، وعلى أصحابه حيث رجع من أحد فقال :

" أشهد أنكم أحياء عند الله تعالى ، فزوروهم وسلموا عليهم ، فوالذي نفسي بيده ، لا يسلم عليهم أحدٌ إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة " [2] .

---

(١) في مجموع الفتاوى (٢٤ / ٣٦٣ ، ٣٦٤) يؤكد ابن تميمة بأن الأرواح تكون في أفنية القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لا تفارقه ، وبه يقول مجاهد ، وقال مالك بن أنس : بلغني أن الأرواح مرسلة تذهب حيث شاءت . والله أعلم » أهـ . بتصرف يسير .

(٢) والذي يرد السلام ، لا ينكر أنه يسمع السلام عليه .

كما ورد في الحديث الصحيح : عن ابن عباس مرفوعاً ، " ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا يسلم عليه ، إلا عرفه ورد عليه " (١).

وقد ورد في الصحيحين من قوله ﷺ . إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم " (٢).

وأجابوا عن الآية فقال الهيلي : " إنها كقوله تعالى : ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي﴾ أي إن الله هو الذي يعمي ويهدي .

قال بعض العلماء : إن معناها : لا تسمعهم إلا أن يشاء الله تعالى .

أو لا تسمعهم سمعاً ينفعهم .

وقد ينفى الشيء ، لإنتفاء فائدته وثمرته .

وهنا يجوز أن يُعتبر في قوله تعالى : ﴿ ولا تسمع الصم ﴾ ويكون العدول عن : " فإنك لا تسمع الموتى " ولا " الصم " إلى ما في النظم الجليل العناية بنفي الإسماع ، ويجوز أن لا يعتبر فيه ، ويبقى الكلام على ظاهره وتكون نكتة العدول الإشارة إلى أن لا تسمع في كل من الجملتين بمعنى .

وقال الذاهبون إلى عدم سماع الموتى : الأصل عدم

---

(١) في سنن أبي داود : ـ ما من أحد يسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام»(٢ /٥٣٤ /٢٠٤١) .

(٢) صحيح مسلم(٤ /٢٢٠٠ ، ٢٢٠١ / ٢٨٧٠) والبخاري (٢ /٢٠٥ / ١٣٧٤) وصححه السيوطي في الجامع الصغير (١ /٨٣) وصححه .

التأويل ، والتمسك بالظاهر إلى أن يتحقق ما يقتضيه خلافه ، وأجابوا عن كثير مما استدل به الآخرون ، فقال بعضهم إن ما وقع في حديث أبي طلحة ـ رضي الله تعالى عنه ـ يجوز أن يكون معجزة له ﷺ وهو مراد من قال : إنه من خصوصياته عليه الصلاة والسلام .

ومن خوارق العادة ، والكلام من موافقها ، وهو الذي نفى فيها آية : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ . ونحوها وفي قوله ﷺ : " ما أنتم بأسمع لما أقول منهم الآن دون ﴿ ما أنتم بأسمع لما يقال ﴾ ونحوه منهم تأييد ما لذلك ، وحديث أبي الشيخ مرسل ، وحكم الإستدلال به معروف ، وعلى أن احتمال الخصوصية قائم فيه أيضاً .

وفي صحيح البخاري [1] قال قتادة : أحياهم الله تعالى ، بمعنى أهل الطوي (القليب) حتى أسمعهم قوله ﷺ ، توبيخاً ، وتصغيراً ونقمة وحسرة ، وندماً .

ويؤيد ما أخرج البخاري [2] ومسلم والنسائي ، وابن أبي هاشم ، وابن مردويه ، عن ابن عمر قال : " وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ ثم قال عليه الصلاة والسلام : " إنهم الآن يسمعون ما أقول " حيث

---

(١) البخاري (٥ /١٨٧ / ٣٩٨٠) و (٣٩٨١) .

(٢) البخاري (٥ /١٨٧ /٣٩٨٠) ومسلم (٤ /٢٢٠٣ / ٢٨٧٤) والنسائي (٤/١١٠) .

قيَّد ﷺ سماعهم (بالآن) وإذا قلنا إن الميت يسأل سبعة أيام في قبره ، مؤمناً كان أو منافقاً أو كافراً ، وأنه حين السؤال تعاد إليه روحه ، كان لك أن تقول : يجوز أن يكون خطاب أهل القليب ، حين إعادة أرواحهم إلى أبدانهم للسؤال ، فإنه كما في حديث أخرجه أحمد والبخاري مسلم وأبو داود والترمزي والنسائي كان في اليوم الثالث من قتلهم ، واحتمل أن يكون خطابه ﷺ لأم محجن ، وقت السؤال بأن يكون ذلك قبل مضي سبعة أيام عليها .

وعليه لا يكون سماعهم من المتنازع فيه ، لأنهم حين سمعوا كانوا أحياء لا موتى .

ويرد على هذا أن عمر قال له عليه الصلاة والسلام : ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ ولم ينكر ما قاله له ﷺ ، وإنما قال ﷺ له : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم .

ولو كان الأمر كما قال قتادة ، لكان الظاهر أن يقول ﷺ له : ليس الأمر كما تقول إن الله عز وجل أحياهم لي أو نحو ذلك ، وعائشة أنكرت ما وقع في الحديث مما استدل به على المقصود .

وفي صحيح البخاري عن هشام عن أبيه قال : ذكر عن عائشة أن ابن عمر ، رفع إلى رسول الله ﷺ (أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه) فقالت : وَهَمَ ابن عمر إنما قال ﷺ : " إنما يعذب بخطيئته وذنبه ، وإن أهله ليبكون عليه الآن ، قالت :

وذلك مثل قوله :

إن رسول الله ﷺ قام على القليب وفيه قتلى بدر من المشركين ، فقال لهم ما قاله ، وإنهم ليسمعون ما أقول إن ما قال : إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق .

ثم قرأت : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ .

﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ .

وتعقب ذلك السهيلي ، فقال : عائشة لم تحضر قول النبي ﷺ ، فغيرها ممَّن حضر أحفظ للفظه عليه الصلاة والسلام ، وقد قالوا له :

يا رسول الله ، أتخاطب قوماً قد جيفوا فقال : " ما أنتم بأسمع لما أقول منهم " فقال : فإذا جاز أن يكونوا في تلك الحالة عالمين ، جاز أن يكونوا سامعين له .

وهذا كلام قوي ، ولا يقدح عدم حضورها في روايتها ، لأنه مرسل صحابي ، وهو محمول على أنه سمع ذلك ممن حضره أو من النبي ﷺ ، ولو كان ذلك قدحاً في روايتها لقدح في رواية ابن عمر السابقة ، فإنه لم يحضر أيضاً ، ولا مانع من أن يكون النبي ﷺ ، قال اللفظين جميعاً ، فإنه كما علم من كلام السهيلي ، والحاكم ، وصححه ، وغيرهما : إنا لا نسلم صحته . وتصحيح الحاكم محكوم عليه بعدم الإعتبار ، وإن سلمنا بصحته نلتزم القول بأن الموتى الذين لا يسمعون هم من عدا الشهداء .

أما الشهداء فيسمعون في الجملة لامتيازهم على سائر الموتى ، لما أخبر عنهم من أنهم أحياء عند الله عز وجل .

وقيل في حديث ابن عبد البر ، إن عبد الحق ، وإن قال : إسناده صحيح إلا أن الحافظ ابن رجب الحنبلي تعقبه وقال : إنه ضعيف ، بل منكر .

وفي حديث ابن أبي الدنيا : إنه على تسليم صحته ، لا يثبت المطلوب ، لأن خطاب الملك عليه السلام للروح التي بيده ، وهو ليس بميت .

وفي الصحيحين من سماع العبد قرع نعال أصحابه إذا دفنوه ، وانصرفوا عنه إنه اذ ذاك تعود إليه روحه للسؤال ، فيسمع وهو حي ، والجمهور على عود الروح إلى الجسد أو بعضه وقت السؤال ، على وجه لا يحس به أهل الدنيا ، إلا من شاء الله تعالى منهم ، ووراء ذلك مذاهب .

فإن مذهب ابن جرير الطبري ، وجماعة من الكرامية أن السؤال في القبر على البدن فقط ، وأن الله تعالى يخلق فيه إدراكاً ، بحيث يسمع ويعلم ، ويلذ ويألم ، وعلى هذا المذهب يمكن أن يقال ما قيل على الأول .

ومذهب ابن حزم ، وابن ميسرة أنه على الروح فقط ، ومذهب أبي الهزيل وأتباعه أن الميت لا يشعر بشيء أصلاً إلا بين النفختين .

والحق أن الموتى يسمعون في الجملة ، وهذا على أحد وجهين :

أولهما : أن يخلق الله عز وجل في بعض أجزاء الميت قوة يسمع بها متى شاء الله تعالى السماع ، ونحو ما شاء الله تعالى سماعه إياه ، ولا يمنع من ذلك كونه تحت أطباق الثرى ، وقد انحلَّت منه تلك البنية ، وانفصمت العرى ، ولا يكاد يتوقف في قبول ذلك من يجوز أن يرى أعمى العين .

وثانيهما : أن يكون ذلك السماع للروح بلا وساطة قوة في البدن ، ولا يمتنع أن تسمع بل أن تحس وتدرك مطلقاً بعد مفارقتها البدن بدون وساطة قوى فيه .

وحيث كان للروح على الصحيح تعلق ، لا يعلم حقيقته وكيفيته إلا الله عز وجل بالبدن كله أو بعضه بعد الموت ، وهو غير التعلق بالبدن الذي كان لها قبل الموت أجرى الله سبحانه وتعالى عادته بتمكنها من السمع ، وعند الغسل مثلاً ، ولا يلزم من وجود ذلك التعلق .

أما القول بوجود قوة السمع ونحوه فيها ، نفسها أن تسمع كل مسموع لما كان السماع مطلقاً ، وكذا سائر الإحساسات ليس إلا تابعاً للمشيئة ، فما شاء الله تعالى كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فيعتقد على القول بسماع ما ورد السماح بسماعه من السلام ونحوه ، وهذا الوجه هو الذي يترجح ، ولا يلزم عليه التزام القول بأن أرواح الموتى مطلقاً في أفنية القبور ، لما كان مدار

السمع عليها مشيئة الله تعالى ، والتعلق الـذي لا يعلم كيفيته وحقيقته إلا هو عز وجل .

فلتكن الـروح حيث شـاءت أو لا تكن في مكان كما هـو رأي من يقـول بتجردها ، ويـؤخذ مـن كلام ذكره العـارف ابن برجـان في شرح أسماء الله تعالى الحسنى تحقيق على وجـه آخر ، وهو أن للشخص نفسـه مبرأة من باطن مـا خلق منه الجسم ، وهي روح الجسم ، وروحا أوجـدها الله تبارك وتعـالى من باطن ما برأ منه النفس ، وهي للنفس بمنزلة النفس للجسم .

فالنفس حجابها ، وبعض المفـارقة في العبد المؤمن تجعل الحقيقـة الـروحانيـة عـامـرة العلو من السماء الـدنيـا إلى السماء السـابعـة ، بل إلى حيث شـاء الله تعـالى من العلـو ، في سرور ونعيم ، وتحيل الحقيقة النفسانية عامرة السفل من قبره إلى حيث شاء الله تعالى من الجو .

ولـذا لقـى رسـول الله ﷺ مـوسـى قـائماً يصلي في قبره ، وإبراهيم عليـه السلام تحت الشجرة قبل صعوده عليـه الصلاة والسـلام إلى السماء ، ولقيهما عليهما السـلام بعـد الصعـود في السموات العلا ، فتلك أرواحهما وهـذه نفوسهما ، وأجسادهما في قبورهما ، وكذا يقال في الكافر بيد أن الحقيقة الروحانية له لا تكـون عامـرة العلو ، فـلا تفتح لهم أبواب السماء ، بل تكـون عامرة في دار شقائها ، وبين الحقيقتين اتصال ، وبوساطة ذلك ومشيئته عـز وجل يسمـع من سلَّم عليـه في قبره ، ولا يختص

السماع في السلام عند الزيارات ليلة الجمعة ويومها ، وبكرة السبت أو الجمعة ، ويوماً قبلها ويوماً بعدها ، بل يكون ذلك عند الزيارة مطلقاً .

إن الميت يسمع الله تعالى روحه السلام عليه من زائره في أي وقت كان ، وكان يقدره سبحانه وتعالى على رد السلام كما صرح به في بعض الآثار .

وما أخرجه العقيلي من أنهم يسمعون السلام ، ولا يستطيعون رده ، محمول على نفي استطاعة الرد على الوجه المعهود الذي يسمعه الأحياء .

وقيل إن رد السلام وعدمه مما يختلف باختلاف الأشخاص، فرب شخص يقدره الله تعالى على الرد ولا يثاب عليه ، لإنقطاع العمل ، وشخص آخر لا يقدره الله عز وجل ، ويتفاوت التعلّق في رأي الألوسي قوة وضعفاً بحسب الأشخاص بل وبحسب الأزمان أيضاً ، وبذلك نجمع بين الأخبار والآثار المختلفة .

يقول الإمام القرطبي [1] في تفسير قوله تعالى : ﴿ وما

(١) تفسير القرطبي (١٣ / ٢٢٥) .

يشعرون أيان يُبعثـون بل ادَّارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ﴾ [1] .

يقول القرطبي القراءة الأولى والأخيرة معناهما واحد ، لأن الأصل في ادَّارك : تـدارك ، أدغمت الـدال في التـاء ، وجيء بألف الوصل ، وفي معناه قولان : أحدهما أن المعنى بل تكامل علمهم في الآخرة ، لأنهم رأوا كل مـا وعدوا به معاينـة فتكامل علمهم به .

والقـول الآخـر أن المعنى : " بل تتـابع علمهم اليـوم في الآخرة ، فقالوا : تكون أو لا تكون " أ هـ بتصرف .

لكن الزمخشري [2] يقول :

لما جاء ببل بعد قوله : " ومـا يشعرون " كان معناه : بل يشعرون ، ثم فسَّر الشعور بقوله ادَّارك علمهم في الآخرة ، على سبيل التهكم الذي معناه المبالغـة في نفي العلم ، فكأنه قال : شعورهم بـوقت الآخرة أنهم لا يعلمـون كونها ، فيرجع إلى نفي الشعور على أبلغ ما يكون " أ هـ بتصرف

ثم يقول الزمخشري [3] في تفسير قولـه تعالى : ﴿ إنك لا

---

(1) النمل (٢٧ / ٦٥ ، ٦٦) أنظر البحر المحيط (٧/ ٩٢ ، ٩٣) .
(٢) الكشاف (٣/ ١٥٧) والقرطبي (١٣/ ٢٢٦) .
(٣) الكشاف (٣/ ١٥٩) .

تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولَّوْا مدبرين ﴾ [1] إن المشركين شُبهِّوا بالموتى وهم أحياء الحواس ، لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله ، فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم ، وكان سماعهم كلا سماع ، وكانت حالهم لإنتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا صحيح السماع .

كذلك تشبيههم بالصم الذين يُنْعَقُ بهم فلا يسمعون ، وشُبِّهوا بالعمى حيث يضلون الطريق ، ولا يقدر أحدٌ أن ينزع ذلك عنهم [2] ، وأن يجعلهم هداة ، بصراء ـ إلا الله عز وجل أهـ بتصرف .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ فإنك لا تسمع الموتى ﴾ [3] بزيادة الفاء من الآية السابقة ، يقول الصابوني أي فإنك يا محمد ، لا تسمع الأموات ، ولا تسمع من كان في أذنيه صمم ، تلك المواعظ المؤثرة ، ولو أن أصماً ولى عنك مدبراً ، ثم ناديته ، لم يسمع ، فكذلك الكافر ، لا يسمع ، ولا ينطق بما يسمع .

قال المفسرون : هذا مثل ضربه الله تعالى للكافرين شبههم الله بالموتى وبالصم العمي [4] .

---

(١) النحل (٢٧ / ٨٠) .

(٢) أي يمحوه ويزيله .

(٣) الروم (٣٠ / ٥٢) .

(٤) صفوة التفاسير (٢١ / ١٠٧٩) .

ويحتج القائلون بعدم سماع الموتى بنص القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾(١) .

كذلك يقوّلون ويستدلون بقوله تعالى : ﴿ فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام ﴾ (٢) .

مما سبق ومما سلف نقول مجملاً ما نعتقده الصواب إن شاء الله تعالى : إن الموتى يسمعون من أي وفي أي لحظة يراد منهم ذلك بإذن الله تعالى وبإرادته ، وعندما لا يريد منهم السماع فإنهم لا يسمعون ، فإذا أراد الله شيئاً لا يمنعه شيء .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

---

(١) المائدة (٥/ ١١٧) .

(٢) البقرة (٢/ ٢٥٩) . أنظر تفسير الطبري (٥ /٤٣٩) . وما بعدها ، والقرطبي (٣/ ٢٩٣) والبحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٢٨٥) .

القول الثابت

.. ما معنى قوله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [1]؟؟

ورد في سنن أبي داود ، عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال : " إن المسلم إذا سئل في القبر فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [2]الآية .

وروى مسلم [3]عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي

---

(١)إبراهيم(١٤ /٢٧) .

(٢)سنن أبي داود(٥ /١١٢/ ٤٧٥٠) .

وروى هذا الخبر أيضا أبو هريرة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو سعيد الخدري .

(٣)مسلم(٤ /٢٢٠١ / ٢٨٧١) .

الآخـرة ﴾ قـال : نـزلت في عـذاب القبر ، يقـال لـه من ربّك فيقول : الله ربي ونبيّ محمد ، فذلك قـوله : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [1] .

أخرج البخاري[2] في صحيحـه ، والنسـائي في السنن [3] وابن ماجـة في سننه من حديـث البرا ء بن عازب عن النبي ﷺ قال : " إذا أُقعِـدَ العبد المؤمن في قبره ، أتى ثم يشهـد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسـول الله ، فذلك قولـه : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [1].

وثبت عنه ﷺ قوله :

" إن هذه الأمة تبتلى في قبورها [4] .

ومتى كان ابتـلاء الأمة في قبورها ، فإن الثبـات على كلمة التوحيد هو خير عاصم ، ومنقذ من الهلاك الأبدي المحقق .

أما عن منكري الفتنة في القبر ، بل ومنكري عذاب القبر ونعيمه ــ فإنهم يخرجون بهذا الإنكار عن إجماع الأمـة ، وهذا لا يذهب إليه إلا مفتون مستدرج مغلول الحجة ، مردود الدليل .

---

(١)إبراهيم(١٤ / ٢٧) .

(٢)البخاري(٢ /٢٠٤ / ١٣٦٩) .

(٣)النسائي(٤ / ١٠١) .

(٤)مسلم(٤ /٢٢٠٠ / ٢٨٦٧) .

ما ينجي من فتنة القبر وعذابه

" . . . ما الأعمال والأقوال المنجيات من فتنة القبر ، وعذابه ؟؟ وهل يعفى أحدٌ من فتنة القبر ؟؟ "

ذكر علماؤنا خمسة أشياء منجيات من فتنة القبر وعذابه .

الأول : روى الإمام مسلم عن سلمان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن من الفتان [(١)].

وقد صححه السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٢٢) .

لذلك فإن الرباط من أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت كما جاء في حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : " إذا مات ابن آدم

---

(١) مسلم (٣/ ١٥٢٠/ ١٩١٣) وأحمد في المسند (٥/ ٤٤١) بلفظ أفضل .

انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له [1] . وهذا الحديث صحيح ، انفرد مسلم بإخراجه ، كذا ما أخرجه ابن ماجة [2] وأبو نعيم من أنه يلحق الميت بعد موته ، فإن ذلك مما ينقطع بنفاده وذهابه ، كالصدقة بنفادها ، والعلم بذهابه ، والولد الصالح بموته ، والنخل بقطعه إلى غير ذلك مما ذكر .

والرباط يضاعف الأجر لصاحبه إلى يوم القيامة ، لقوله عليه الصلاة والسلام ، وإن مات أجرى عليه عمله ، وقد جاء مفسراً مفصلاً في قوله ﷺ : " كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله ، فإنه ينمو له إلى يوم القيامة ، ويأمن من فتنة القبر " [3] .

والنماء في الحديث غير موقوف على سبب ، ولا منوط بمتعلقات أخرى حتى تنقطع بانقطاعه بل إن النماء زيادة مطردة من فضل الله تعالى ، لأن أعمال البر لا يتمكن منها بالسلامة من العدو ، والأمان من غائلته .

في الرباط حماية بيضة الدين ، وصيانة كيانه من أعداء

---

(١) مسلم (٥/ ٧٣) وأبو داود (٣/ ٣٠٠ / ٢٨٨٠) بنحوه .

(٢) ابن ماجة في السنن والنسائي (٦ / ٢٥١) .

(٣) الترمذي (١٦٢١) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وأبو داود بنحوه (٣ / ٢٠ / ٢٥٠٠) وقال : « ويؤمن من فتاني القبر » .

الدين ، وصون شعائر الإسلام ، ولذلك فإن ما يعمله المرابط من أعظم القربات وأجل الطاعات [1].

الثاني : روى النسائي عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رجلاً قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال " كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة " [2].

وخرج ابن ماجة [3] في السنن ، والترمذي [4] في جامعه وغيرهما ، عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ : للشهيد عند الله ست خصال ، يغفر له في أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه .

وهذا لفظ الإمام الترمذي ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب . وقال ابن ماجة : " يغفر له في

---

(١) أخرج ابن ماجة (٢٧٦٧) عنه صلى الله عليه وسلم : ـ « من مات مرابطا في سبيل الله أجرى الله عليه عمله الصالح الذي كان يعمله وأجرى عليه وأمن من الفتان ويبعثه الله أميناً من الفزع الأكبر .

(٢) النسائي (٤ / ٩٩) .

(٣) ابن ماجة (٣٧٩٩) .

(٤) الترمذي (١٦٦٣) .

أول دفعة من دمه " قال : ويحلى حلة الإيمان بدل ويوضع على رأسه تاج الوقار .

قال ابن ماجة : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا اسماعيل ابن عياش ، قال : حدثنا بجير بن سعد ، وقال الترمذي : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا نعيم بن حماد ، قال : حدثنا بقية بن الوليد عن بجير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن المقدام بن معد يكرب (١) .

الثالث : روى الترمزي عن ابن عباس قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ (سورة الملك) حتى ختمها ، فأتى النبي ﷺ فقال : " يا رسول الله : ضربت خبائي على قبر ، وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا بقبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فقال ﷺ : هي المانعة ، هي المنجيه تنجيه من عذاب القبر (٢) .

وخرج أيضاً عنه ﷺ أن من قرأها كل ليلة جاءت تجادل عن صاحبها ، وروى أنها المجادلة تجادل عن صاحبها ، يعني قارئها في القبر .

وروى أن من قرأها كل ليلة ، لم يضره الفتان .

عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه ، عن عكرمه عن ابن

---

(١) التذكرة للقرطبي (١ / ٢١٠) بتصرف .

(٢) الترمذي (٢٨٩٠) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

عباس رضي الله عنه أنه قال الرجل :

ألا أتحفك بحديث تفرح به ؟ قال الرجل : بلى يا بن عباس ، رحمك الله ، قال : اقرأ (تبارك الذي بيده الملك) احفظها وعلمها اهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك ، وجيرانك فإنها منجية ولدك ، وصبيان بيتك ، وجيرانك ، فإنها منجية . والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها ، وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من عذاب النار إذا كانت في جوفه ، وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر .

قال سيدنا رسول الله ﷺ : " لوددت لو أنها في قلب كل إنسان من أمتي "(١) .

وورد أن قراءة قل هو الله أحد في مرض الموت تنجي من فتنة القبر وعذابه .

وكيف لا وهي ثُلُثُ القرآن .

الرابع : ورد في سنن ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " من مات مريضاً مات شهيداً ، ووقي فتنة القبر ، وغدا وريح عليه برزقه من الجنة (٢) .

كما خرَّج النسائي عن جامع بن شداد قال : " سمعت عبد الله بن يسار " يقول : " كنت جالساً عند سليمان بن صرد ، وخالد بن عرفطة فذكر أن رجلاً مات ببطنه ، فإذا هما

---

(١) هذا دليل على أهميتها .

(١) ابن ماجة (١٦١٥) وأحمد في المسند (٤ / ٢٦٢) .

يشتهيان أن يشهدا جنازته ، فقال أحدهما للآخر : ألم يقل رسـول الله ﷺ : " من يقتلـه بطنـه لم يُعـذب في قبره " ؟

أخـرجه أبـو داود الطيالسي في مسنـده ، قـال : حدثنـا شعبة، قال : أخبرني جامع بن شداد : فذكره [١] .

الخامس : روى الإمام الترمذي في جـامعه عن ربيعة ابن سيف عن عبد الله بن عمـرو قال : قال رسـول الله ﷺ : " ما من مسلم يموت يـوم الجمعة ، أو ليلة الجمعة إلا وقـاه الله فتنة القبر " [٢] .

وقد أخرج هذا الحديث السيوطي في الجامع الصغير (٢ / ١٥٣) ط . العلمية وعزاه لأحمد في المسند والترمـذي في جامعه الصحيح ، عن ابن عمرو ، وحسنه .

---

(١) فزاد على ذلك : « فقال الآخر بلى» أهـ .

(٢) الترمذي (١٠٧٤) وقـال أبو عيسى : « هذا حديث حسن غـريب » أهـ وليس إسناده بمتصل بـربيعة بن سبق ، وإنما يروي عن عبد الـرحمن الحلبي ، عن عبد الله ابن عمرو . كذا أخرجه أحمد في المسند(٢ /١٦٩) .

عرض مقعد الميت عليه بالغداة والعشي

" ورد أن مقعد الميت يعرض عليه في قبره بالغداة والعشي ، إلى يوم القيامة ، نرجو توضيح ذلك وشرحه . . . "

روى البخاري ومسلم [1] في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : " إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة " [2] .

---

(١) البخاري (٨/ ١٩٣/ ٦٥١٥) ومسلم (٤/ ٢١٩٩/ ٢٨٦٦) وابن ماجة (٤٢٧٠) والترمزي (١٠٧٢) .

(٢) قوله عرض عليه مقعده ، ويروى (عرض على مقعده) قال علماؤنا : وهذا ضرب من العذاب كبير ، وعندنا المثال في الدنيا ، وذلك كمن عرض عليه القتل ، أو غيره من الآت العذاب ، أو من يهدد به من غير أن يرى الآلة ، ونعوذ بالله من عذابه وعقابه ، بكرمه ورحمته .

وقد جاء في القرآن الكريم قوله : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ﴾ [1] .

فأخبر تعالى أن الكافرين يعرضون على النار ، كما أن أهل السعادة يعرضون على الجنان ، بالخبر الصحيح لذلك ، وهل كل مؤمن يعرض على الجنان ؟ قيل : ذلك مخصوص بالمؤمن الكامل الإيمان ، ومن أراد الله له النجاة من النار [2] .

وأما من أنفذ الله عليه وعيده ، وحقت عليه كلمة العذاب على أولئك الذين خلطوا عملاً صالحاً ، وآخر فاسداً فله مقعدان ، يراهما جميعاً ، كما أنه يرى عمله شخصين في وقتين أو في وقت واحد قبيحاً وحسناً .

وقد يحتمل أن يراد بأهل الجنة كل من يدخلها كيفما كان، والله تعالى أعلم ، ثم قيل هذا العرض إنما هو على الروح وحدها، ويجوز أن يكون مع جزء من البدن ، والراجح أنه على كلا العنصرين الروح والبدن ، معاً لأن هناك تعلقاً غير مرئي بين الروح والجسد حتى بعد الإنفصال بالوفاة ، فإن الجسد كلما تألم في القبر تأثرت به الروح في برزخها من مستقرها غير المعروف .

أما كيف يحدث هذا فنقول إن ذلك من الغيب المطلق المتصل بالحياة البرزخية ، وهذا لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى ، ولا يجدي نفعاً أي تكهن أو استقراء لأن البحث فيه لا يجدي فتيلاً .

---

(١) غافر (٤٠ / ٤٦) .

(٢) التذكرة للقرطبي بتحقيق السيد الجميلي (١ / ٢١٥) وما بعدها .

قيل إن الروح تـرد إلى البدن كما ترد إليه عنـد المسألة حين يقعده الملكان ــ عند العرض عليه مقعده ، ثم يقـال له : انظر إلى مقعدك من النـار قد أبدلك الله به مقعـداً من الجنة ، وكيفما كان فإن العذاب محسوس .

والألم موجود ، والأمر شديد .

وضرب كثير من العلماء مثـلاً لتعذيب الـروح في النائم ، فإن روحــه تعــذب ، أو تنعم ، والجســد لا يحس بشيء من ذلك .

قال عبد الله بن مسعود : أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين يقال لهم :

هذه داركم ، فذلك قوله تعـالى : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ﴾ (١) .

وعنه أيضاً : أن أرواحهم في جوف طير سود ، تغدو على جهنم ، وتروح كل يـوم مرتين ، فذلك عرضهـا ، وروى شعبه عن يعلى بن عطاء قال : سمعت ميمـون بن ميسرة يقول : كان أبو هريرة إذا أصبح ينادي :

---

(١) غافر (٤٠ / ٤٦) .

راجع التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٧ / ٧٤) وما بعدها ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥ / ٣١٩) .

أصبحنا والحمد لله ، وعرض آل فرعون على النار ، وإذا أمسى ينادي : أمسينا والحمد لله ، وعرض آل فرعون على النار ، فلا يسمع أبا هريرة أحد إلا تعوذ بالله من النار .

قيل إن أرواحهم في صخرة سوداء تحت الأرض السابعة على شفير جهنم ، في حواصل طير سود والغداة والعشي ، إنما هو بالنسبة إلينا على ما اعتدناه ، لا لهم إذ الآخرة ليست فيها مساء ولا صباح .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً ﴾ [1] . قلنا : الجواب عنهما واحدٌ . . . ﴾ [2] .

وقد ذكر الإمام القرطبي في تذكرته هذا الموضوع بشيء من التفصيل فراجعه ـ إن شئت ـ .

---

(١) مريم (١٩ / ٦٢) .

(٢) التذكرة (١ / ٢١٦) بتصرف .

سؤال الملكين في القبر

" . . . كيف يسأل الملكان المقبور ؟؟ وما نتيجة المساءلة للعبد الصالح ؟ وما مصير الفاسق بعدها ؟ وهل تتوقف الحياة البرزخية على سؤال القبر ؟ . . " .

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : " إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه ، ويقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟

فأما المؤمن فيقول : " أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله تعالى به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً " (١) .

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٢/ ٢٠٥ / ١٣٧٤) .

قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره أربعون ذراعاً .

وقال مسلم : سبعون ذراعاً ، ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون ، انظر صحيح مسلم (٤ /٢٢٠٠ / ٢٨٧٠) .

ثم يقول بعد ذلك : " وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين " (١) .

روى ابن ماجة (٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ، ولا مشعوف ، ثم يقال له : فيم كنت ؟ فيقول : كنت في الإسلام ! فيقال : ما هذا الرجل ؟ فيقول : محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه ، فيقال له : هل رأيت الله؟ فيقول : لا ، ما ينبغي لأحد أن يرى الله ، فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ، فيقال له : انظر إلى ما وقاك الله ثم يفرج له فرجة قبل الجنة ، فينظر إلى زهرتها ، وما فيها ، فيقال له : هذا مقعدك .

---

(١) ورد هذا الحديث بتمامه كاملاً عند البخاري ، بيد أنه عند مسلم غير تام ، وليس في مسلم قول الملكين ، ولا يكتب . والأصح أن يقال : لا دريت ولا تلوت ، لأن الفعل (تلى) واوي من تلو ، لكن الواو أبدلت ياءً وهذا من الإعلال حتى تتناسب مع (دريت) .

وقد جاء من « حديث البراء بن عازب» (لا دريت ولا تلوت) على ما ورد عند الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه .

(٢) ابن ماجة في السنن .

ويقال له : على اليقين كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله ، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مرعوباً ، فيقال له : فيم كنت ؟ فيقول : لا أدري ، فيقال له : ما هذا الرجل؟ فيقول : سمعت الناس يقولون قولاً فقلته ، فيفرج له فرجة من قبل الجنة ، فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : انظر إلى ما صرفه الله عنك ، ثم يفرج له فرجة قبل النار ، فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ، فيقال : هذا مقعدك على الشك كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى .

أخرج الترمذي [١] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أقبر الميت ـ أوقال أحدكم ـ أتاه ملكان أسودان ، أزرقان يقال لأحدهما المنكر ، وللآخر النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول فيه هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أن تقول هذا ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ، ثم ينور له فيه ، ثم يقال له : نم ، فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان : نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً ، قال : سمعت الناس يقولون قولاً ، فقلت مثله لا أدري ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض : التئمي عليه ،

---

(١) الترمذي (١٠٧١) في الجامع الصحيح .

فتختلف أضـلاعه ، فـلا يزال فيهـا معـذباً حتى يبعثـه الله من مضجعه ذلك [1] .

وروى أبـو داود [2] عن أنس : أن رســـول الله ﷺ دخل نخلاً لبني النجارفسمع صوتاً ففزع ، فقال : من أصحاب هذه القبور ؟ قالـوا : يا رسول الله ، ناس ماتـوا في الجاهلية ، فقال : تعوذوا بالله مـن عذاب القبر ، ومن فتنة الدجال ، قـالوا : وممَّ ذلك يا رسول الله ؟ قال : " إن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فيقـول له : مـا كنت تعبد؟ فإن هـداه الله ، قال : كنت أعبـد الله ، فيقال : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبد الله ورسوله ، فما يسأل عن شيء غيرها ، فينطلق إلى بيت كان له في النار ، فيقـال له : هذا بيتك كـان في النار ، ولكن الله عصمك ورحمك ، فأبـدلك بيتاً في الجنـة ، فيقول : دعـوني حتى أذهب فأبشر أهلي ، فيقال له : أسكن ، وإن الكافر إذا وضع في قبره ، أتـاه ملك فينتهره ، ويقـول لـه : مـا كنت تعبد ؟ فيقـول : لا أدري ، كنت أقول كما يقول الناس ، فيضرب بمطارق من حديد بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين .

وخرّج أيضاً أبو داود [3] عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ،

---

(١) قال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » أهـ .

(٢) في السنن .

(٣) سنن أبي داود (٣ /٥٤٦ /٣٢١٢) والنسائي بنحوه (٤ / ٧٨) .

ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت به في الأرض ، فرفع رأسه فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر ، مرتين أو ثلاثة ، قال : وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولَّوه مدبرين ، حين يقال له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ قال : ويأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان : ما دينك ؟ فيقول ديني الإسلام ، فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ، فيقولان له : وما يدريك ؟ قال قرأت كتاب الله ، فآمنت وصدقت ، فينادي منادٍ من السماء (أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ، قال : ويفسح له مَدَّ بصره). قال : وإن الكافر ـ فذكر موته ـ قال : وتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان : ما هذا الرسول الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، قال : فينادي منادٍ أن كذب عبدي فأفرشوه من النار ، وألبسوه من النار ، وافتحوا له باباً من النار ، قال :

فيأتيه من حرها ، وسمومها قال : ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه [(١)].

قال رسول الله ﷺ : قوله تعالى : ﴿ وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ أي عمله فإذا فرغ من ذلك ، دخل عليه فتانا القبر ، وهما ملكان أسودان يخرقان الأرض بأنيابهما ، لهما شعور مسدولة ، يجرانها على الأرض ، كلامهما كالرعد القاصف ، وأعينهما كالبرق الخاطف ، ونفسهما كالريح العاصف ، بيد كل واحد منهما مقمع من حديد ،لو اجتمع عليه الثقلان ما رفعاه ، ولو ضرب به أعظم جبل لجعله دكا ، فإذا أبصرتهما النفس ارتعدت ، وولت هاربة ، ويكون كهيئته عند الغرغرة، ولا يقدر على حراك غير أنه يسمع وينظر .

قال : فيقعدانه فيبتدآنه بعنف ، وينتهرانه بجفاء ، وقد صار التراب كالماء ، حيثما تحرك انفسح فيه ، ووجد فرجة ، فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟وما قبلتك ؟

فمن وفقه الله ، وثبته بالقول الثابت قال : ومن وكلكما

---

(١) زاد في حديث جرير قال : (ثم يقيَّض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد، لو ضرب بها جبل لصار ترابا) .

قال : فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين ، فيصير ترابا، ثم تعاد إليه الروح) .

عليَّ ، ومن أرسلكما إليَّ ؟ وهـذا لا يقـوله إلا العلماء الأخيـار ، فيقول أحدهما لـلآخر : صدق ، كف شرنا ، ثـم يضربان عليه القبر ، كالقبـة العظيمة ، ويفتحان لـه باباً إلى الجنـة من تلقاء يمينه ، ثم يفرشان له من حـريرها ، وريحانها ويدخل عليه من نسيمهـا وريحانها ، ويأتيـه عمله في صـورة أحب الأشخـاص إليه، يؤنسه ، ويحدثه ويملأ قبره نوراً .

ولا يـزال في فـرح وسرور مـا بقيت الـدنيـا ، حتى تقـوم الساعة ، ويسأل متى تقوم الساعة ؟ فليس شيء أحب إليه من قيامها ، ودونه في المنزلة ، المؤمن العامل الخير ، ليس معه حظ من العلم ، ولا من أسرار الملكـوت ، يلج عليـه عملـه عقيب رومان في أحسن صـورة طيب الريح ، حسن الثيـاب ، فيقول لـه : أما تعـرفني ؟ فيقول : من أنت الـذي مَنَّ الله عليَّ بك في غربتي ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ، فلا تحزن ، ولا توجل ، فعما قليل يلج عليك منكر ونكير ، يسألانك فلا تدهش ، ثم يلقنه حجتـه ، فبينما هو كـذلك ، إذ دخـلا عليه فينتهـرانه ، ويقعـدانه مسنـداً ، ويقولان : من ربك ؟ فيقـول : الله ربي ، ومحمد نبي ، والقـرآن كتابي ـ والكعبـة قبلتي ، وإبراهيم أبي ، وملتـه ملتي ، غير مستعجم ، فيقـولان لـه : صـدقت ،

ويفعلان به كـالأول ، إلا أنهما يفتحان له باباً إلى النار ، فينظر إلى حياتها وعقـاربها ، وسلاسلها ، وأغـلالها ، وحميمها وجميع غمومها وحديدها ، وزقـومها ، فيفزع ، فيقولان له : لا عليك سوء ، هـذا موضعك قد أبـدلك الله تعالى بمـوضعك هذا من الجنة ، نم سعيداً ، ثم يغلقـان عنه باب النار ، ولم نـدر ما مر عليه من الشهور والأعوام ، والـدهور ومن الناس من يحجم في مسألته ، فإن كانت عقيدته مختلفة ، امتنع أن يقول : الله ربي ، وأخـذغيرها من الألفـاظ ، فيضربانـه ضربة يشتعل منهـا قبره ناراً، ثم تطفأ عنه أيـاماً ، ثم يشتعل عليه أيضاً ، هـذا دأبه ما بقيت الدنيا ، ومن النـاس من يعتاص عليه ويعسر أن يقول : الإسـلام ديني ، لا شك كـان يتـوهمه ، أو فتنـة تقع بـه عنـد الموت ، فيضربانه ضربة واحدة ، فيشتعل عليه قبره كالأول ومن الناس من يعتـاص عليه أن يقول : القـرآن إمامي ، لأنـه كان يتلوه ، ولا يتعظ بـه ، ولا يعمل بأوامره ، ولا ينتهي بنـواهيه ، يطـوف عليه دهـره ، ولا يعطي منه نفسـه خيره ، فيفعل به مـا يفعل بالأولين ، ومن الناس من يستحيل عملـه جرواً يعذب به في قبره على قدر جرمه .

***

ثبت في البخـاري ومسلم [1] ، عن سـؤال الملكين ، وكـذلك في الجامع الصحيح للترمـذي [2] وصف لهما ، وذكـر اسمهما كذا نص في حديث أبي داود [3] على سؤال ملك واحد ، وفي حديث آخر على سؤال ملكين .

قال العلماء : يحتمل حديث أبي داود وجهـاً آخراً ، وهو أن الملكين يأتيان جميعاً ، ويكون السائل أحدهما ، وإن تشاركا في الإتيـان ، فيكون الـراوي اقتصر على الملك السائل ، وتـرك غيره ، لأنـه لم يقل في الحديث إنـه لا يأتيـه إلى قبره إلا ملك واحد .

(١) البخاري في صحيحه ومسلم في الصحيح .

(٢) الترمذي (١٠١٢) بنحوه ، في جامعه الصحيح .

(٣) أبو داود (٣/ ٥٤٦ / ٣٢١٢) .

اختلفت الأحاديث أيضـا في كيفية السـؤال والجواب ، وذلك حسب اختلاف أحوالهم ومقاماتهم ودرجاتهم .

أحوال الموتى عند الموت وفي القبور

" . . . ما هو حديث البراء بن عازب الذي بسط وفصَّل أحوال الموتى جملة وتفصيلاً من لحظة الغرغرة ، وفي القبور وفي الحياة البرزخية على وجه العموم ؟ . . . " .

قال البراء بن عازب [1] : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ، ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ ، فجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير ، قال عمرو بن ثابت : وقع ولم يقله أبو عوانة ، فجعل يرفع بصره ، وينظر إلى السماء ويخفض بصره وينظر إلى الأرض ثم قال : " أعوذ بالله من عذاب القبر " .

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢١٢) وأحمد في المسند (١ / ٢٩٣) والنسائي (٤ / ٩٦) وابن ماجة (١٥٤٨) و (١٥٤٩) . وذهب إلى القول بموجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث من سائر الطوائف وذكره ابن قيم الجوزية في كتاب الروح .

قالها مراراً ثم قال : ﴿ إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخـرة ، وانقطاع من الـدنيا ، جـاءه ملك فجلس عند رأسـه فيقــول : أخـرجـي ، أيتهـا النفس الطيبــة إلى مغفــرة من الله ورضوانه ، فتخرج نفسه ، فتسيل كما يسيل قطر السقاء .

قال عمرو في حـديثه : ولم يقله أبو عـوانة : " وإن كنتم تـرون غير ذلك وتنـزل مـلائكـة مـن الجنـة بيض الـوجـوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفـان من أكفان الجنـة ، وحنوط من حنـوطهـا ، فيجلسـون منـه مـدَّ البصر ، فإذا قبضهـا الملك لم يدعـوها في يده طـرفة عين قال : فذلك قـوله تعالى : ﴿ تـوفته رسلنا وهــم لا يفرطون ﴾ قـال : " فتخرج نفسـه كأطيب ريح وُجدَت ، فتعـرج به الملائكة فلا يأتـون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قـالوا : مـا هذا الـروح ؟ فيقال : فـلان ، بأحسن أسمائه ، حتى ينتهوا به أبواب سماء الدنيا ، فيفتح له ، ويشيعه من كل سماء مقـربـوهـا حتـى ينتهي بـه إلى السماء السـابعـة ، فيقال : اكتبـوا كتابـه في عليين " وما أدراك مـا عليون ، كتـاب مرقـوم يشهده المقربـون " فيكتب كتابـه في عليين ، ثم يقال : ردُّوه إلى الأرض ، فإني وعـــدتهم أني منهــا خلقتهم ، وفيهـــا نعيدهــم ، ومنها نخرجهـم تارة أخـرى ، قال : فيرد إلى الأرض وتعاد روحـه في جسده فيأتيـه ملكان شديـدا الإنتهار فينتهـرانه ويجلســانـه فيقــولان : من ربك ؟ ومــا دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقـول : ربي الله ، وديني الإسـلام فيقـولان : فما تقـول في هـذا

الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله فيقولان : وما يـدريك ؟ فيقـول : جـاءنـا بالبينـات من ربنـا فـآمنت بـه ، وصـدقت قال : وذلك قـوله تعـالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنـوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ .

قـال : ينادي منـادي السماء : أن قـد صدق عبـدي ، فأفـرشوه من الجنـة ، وألبسـوه من الجنة ، وأروه منـزله منهـا ، ويفسح لـه مـدَّ بصره ، ويمثل عمله لـه في صـورة رجل حسن الوجـه طيب الرائحة ، حسن الثياب فيقـول : أبشر بما أعد الله لك ، أبشر برضوان من الله وجنـات فيها نعيم مقيم ، فيقول : بشرك الله بخير ، من أنت ، فوجهك الوجه الذي جاء بالخير؟؟ فيقول : هـذا يومك الـذي كنت تـوعد ، أو الأمر الـذي كنت توعد أنا عملك الصـالح ، فوالله ، ما علمتك إلا كنت سريعاً في طـاعــة الله ، بطيئاً عن معصيــة الله ، فجـزاك الله خيراً ، فيقول : يا رب ، أقم الساعة ، كي أرجع إلى أهلي ومالي .

قـال : فإن كـان فـاجراً ، وكـان في إقبـال من الـدنيـا ، وانقطاع من الآخـرة ، جاءه ملك ، فجلس عند رأسـه فقال : اخرجي ايتها النفس الخبيثـة أبشري بسخط من الله ، وغضبه ، فتنزل ملائكة سود الوجوه ، معهم مسوح من نار ، فإذا قبضها الملك قامـوا فلم يدعـوها في يده طـرفة عين ، قـال : فتفرق في جسده فيستخـرجها ، تقطع منهـا العروق والعصب كـالسفود الكثير الشعب في الصوف المبتل فتؤخذ من الملك فتخرج كأنتن

جيفة وجدت ، ، فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون : هذا فلان بأسوأ أسمائه حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا ، فلا يفتح لهم ، فيقولون : ردوه إلى الأرض ، إني وعدتهم أني منها خلقتهم ، وفيها نعيدهم ، ومنها نخرجهم تارة أخرى ، قال : فيرمى به من السماء ، قال : وتلا هذه الآية : ﴿ ومن يشرك بالله ، فكأنما خَرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ (١) .

قال : " فيعاد إلى الأرض ، وتعاد فيه روحه ويأتيه ملكان شديدا الإنتهار ، فينتهرانه ويجلسانه فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ فيقول : لا أدري ، فيقولان : فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فلا يهتدي لاسمه ، فيقال : محمد ، فيقول: لا أدري ، سمعت الناس يقولون ذلك ، قال : فيقال : لا دريت ، فيضيق عليه قبره ، حتى أضلاعه ، ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه ، منتن الريح قبيح الثياب ، فيقول : أبشر بعذاب الله وسخطه فيقول : من انت؟ فوجهك الذي جاء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله ، سريعاً إلى معصية الله .

قال عمرو في حديثه : عن المنهال عن زاذان ، عن البراء

---

(١) الحج(٢٢ /٣١) .

وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن أشرك به في هلاكه وبعده من الهدى . والمكان السحيق : هو المكان البعيد ، ومنه يقال : بعداً وسحقاً .

راجع أيضاً تفسير الطبري(١٧ /١١٨) .

عن النبي ﷺ : " فيقيض له أصم أبكم بيده مرزبة لو ضرب به جبل صار تراباً " أو قال : " رميماً فيضربه به ضربة تسمعها الخلائق إلا الثقلين ، ثم تعاد فيه الروح فيضرب ضربة أخرى " .

بلفظ أبي داود الطيالسي ، وخرجه علي بن معبد الجهني من عدة طرق بمعناه ، وزاد فيه : " ثم يقيض له أعمى أصم ، معه مرزبة من حديد ، فيضربه فيدق بها من ذؤابته ، إلى خصره ثم يعاد فيضربه ضربة ، فيدق بها من ذؤابته إلى خصره .

وزاد في بعض طرقه عند قوله : " مرزبة من حديد : " لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلبوها ، فيضرب بها ضربة ، فيصير تراباً ، ثم تعاد فيه الروح ويضرب بها ضربة يسمعها من على الأرض غير الثقلين ، ثم يقال : افرشوا له لوحين من نار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيفرش له لوحان من نار ، ويفتح له باب إلى النار .

وزاد فيه عند قوله : وانقطاع من الدنيا : " نزلت به ملائكة غلاظ شداد معهم حنوط من نار ، وسرابيل من قطران يحتوشونه [1] .

فتنتزع نفسه كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل ، يقطع معه عروقه ، فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك في السماء ، وكل ملك في الآرض .

---

(١) يحتوشونه : يكتنفونه ويأتون عليه ويحدقون به .

وخرَّج أبو عبد الله الحسين بن الحسين بن حرب صاحب ابن المبارك في رقائقه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أنه كان يقول : إذا قتل العبد في سبيل الله ، كانت أول قطرة تقطر من دمه إلى الأرض كفارة للخطايا ، ثم يرسل الله عز وجل بريطة [١] من الجنة ، فيقبض فيها روحه ، ثم يعرج مع الملائكة ، كأنه كان معهم ، والملائكة على أرجاء السماء يقولون : قد جاءت روح من الأرض طيبة ، ونسمة طيبة ، فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا ملك الا صلى عليها ودعا لها ويشيعها حتى يؤتى بها الرحمن ، فيقولون : يا ربنا ، هذا عبدك ، توفيته في سبيلك ، فيسجد قبل الملائكة ، ثم تسجد الملائكة ، بعد ثم يطهر ، ويغفر له ، ثم يؤمر فيذهب به إلى الشهداء فيجدهم في قباب من حرير ، وفي رياض خضر، عندهم حوت وثور ، يظل الحوت يسبح في أنهار الجنة يأكل من كل رائحة في أنهار الجنة ، فإذا أمسى وكزه الثور بقرنه فيذكيه ، فيأكلون لحمه ، فيجدون في لحمه طعم كل رائحة ، ويبيت الثور في أفناء الجنة ، فإذا أصبح غدا عليه الحوت ، فوكزه بذنبه فيذكيه ، فيأكلون فيجدون في لحمه طعم كل رائحة من الجنة ، ثم يعودون وينظرون إلى منازلهم من الجنة ، ويدعون الله عز وجل أن تقوم الساعة ، فإذا توفي العبد المؤمن بعث الله عز وجل إليه ملكين ، وأرسل إليه بخرقة من الجنة ، فقال :

---

(١) الريطة : هي الملاءة البيضاء ذات الفقين .

أخرجي أيتها النفس المطمئنة ، أخرجي إلى روح وريحان ، ورب عنك غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريح من مسك ما وجدها أحدٌ بأنفه قط ، والملائكة على أرجاء السماء ، يقولون : قد جاء من قبل الأرض روح طيبة ، ونسمة طيبة ، فلا تمر بباب إلا فتح لها ، ولا بملك إلا دعا لها ، وصلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن ، فتسجد الملائكة ، ثم يقولون : هذا عبدك فلان ، قد توفيته ، وكان يعبدك لا يشرك بك شيئاً ، فيقول : مروه ، فليسجد ، فتسجد النسمة ، ثم يدعى ميكائيل فيقول : اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين ، حتى أسألك عنها يوم القيامة ، ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعين ذراعاً عرضه ، وسبعين ذراعاً طوله ، وينبذ له فيه الرياحين ، ويستر بالحرير ، فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره ، وإن لم يكن معه جعل له في قبره نورمثل نور الشمس ، ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، قال : فيقوم من نومه كأنه لم يشبع من نومته .

وإذا توفي العبد الفاجر أرسل الله إليه ملكين ، وأرسل بقطعة من بجاد أنتن من كل نتن ، وأخشن من كل خشن ، فقال : أخرجي يا أيتها النفس الخبيثة ، أخرجي إلى حميم وعذاب ورب عليك غضبان ، أخرجي وساء ما قدمت لنفسك فتخرج كأنتن رائحة وجدها أحدٌ بأنفه قط وعلى أرجاء السماء

ملائكـة يقولون : قـد جاءت من الأرض روح خبيثـة ، ونسمة خبيثة ، فتغلق دونها أبواب السماء ، ولا تصعد إلى السماء ، ثم يـؤمر فيضيـق عليه قبره ، ويـرسل عليـه حيـات أمثال أعنـاق البخت فتأكل لحمه حتى لا تذر على عظمه لحماً ، ويرسل عليه ملائكة صمٌ عميٌ ، يضربونه بفطاطيس من حديد لا يسمعون صـوتـه فيرحموه ، ولا يبصرونـه فيرحموه ، ولا يخطئـون حين يضربونه، ويعـرض عليه مقعده من النار بكرة وعشيـاً ، يدعو بأن يدوم ذلك، ولا يخلص إلى النار .

وخرَّج أبـو عبد الرحمن النسـائي بسنده عن أبي هـريرة أن رسـول الله ﷺ قـال : " إذا احتضرالمؤمن أتتـه ملائكـة الـرحمة بحريرة بيضـاء ، فيقولون : أخرجي راضيـة مرضياً عنك ، إلى روح وريحان ورب راض غير غضبـان ، فتخـرج كأطيب ريح المسك ، حتى إنـه ليناولـه بعضهم بعضاً حتـى يأتوا بـه بـاب السماء فيقـولـون : مـا أطيب هـذه الـريـح التي جـاءتكم من الأرض؟

فيأتـون به أرواح المؤمنين ، فلهم أشد فـرحاً من أحـدكم بغائبه يقدم عليه ـ فيسألونه : ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة ؟

فيقولون : دعوه ، فإنه كان في غم الدنيا ، فإذا قال : ما

أتاكم ؟ قالوا : ذُهِبَ به إلى أمه الهاوية .

وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون : أخرجي ساخطة مسخوطاً عليك ، إلى عذاب الله ، فيخرج كأنتن ريح خبيثة ، حتى يأتوا به باب الأرض ، فيقولون : ما أنتن هذه الريح ، حتى يأتوا به أرواح الكفار .

وخرَّج أبو داود الطيالسي ، قال : حدثنا حماد عن قتادة ، عن أبي الجوزاء ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : إذا قبض العبد المؤمن جاءته ملائكة الرحمة ، فتسلم تسل نفسه في حريرة بيضاء فيقولون : ما وجدنا ريحاً أطيب من هذه ، فيسألونه : فيقولون :

ارفعوا به ، فإنه خرج من غم الدنيا ، فيقولون : ما فعل فلان ؟ وما فعلت فلانة ؟

قال : " وأما الكافر فتخرج نفسه فتقول خزنة الأرض : ما وجدنا ريحاً أنتن من هذه فيهبط به إلى أسفل الأرض " .

إنكار ابن حزم لعودة الروح في القبر والرد عليه

" . . . ذكر أبو محمـد بن حزم في كتاب الملل والنحل أن القول بإعادة الروح إلى البدن في القبر خطأ يدفعه القرآن الكريم ويبطلـه فما مدى صحـة هـذا القـول أو حقيقته مـع بيان أدلـة التأييد ، أو أدلة النقض ؟ . . "

ذهب إلى إنكار عودة الروح الى البدن ـ الإمام أبو محمد بن حزم الظاهري وأنكر أن الميت يحيا في قبره ، آخذاً بظاهر وعموم نص القـرآن الكريم مستـدلاً بظـاهرهـا على رأيـه ، مثل قولـه تعالى : ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ [1] .

(١) غـافـر (٤٠ / ١١) انظـر تفسير القـرطبي (١٥ / ٢٩٧) والطبري (٢٤/ ٣٢) .

واستشهد أيضاً بقولـه تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾(٢)البقرة(٢/ ٢٨) .

ثم انتهى بعـد ذلك إلى رأيه المتـوقع وهـو نفي السمع عن المقبـورين تأسيساً على مـا تقـدم ، ونعى على القائلين بـالسماع مطلقاً ثم طعن في ذلك بسبب أنـه لم يأت قط عن رسول الله ﷺ في خبر صحيح أن الأرواح ترد إلى الأموات في خبر صحيح [١].

وقد انبرى للرد عليه ، الإمام شمس الدين أبو عبد الله ابن قيم الجوزية حيث قال :

" ما ذكره أبو محمد ـ أي ابن حـزم ـ فيه حقٌّ وباطل ، أما قوله من ظن أن الميت يحيا في قبره فخطأ فهذا فيه إجمال إن أراد به الحياة المعهودة في الدنيا .

وإن أراد به حياة أخرى غير هذه الحيـاة بل تعاد الروح إليه إعـادة غير الإعادة المألـوفـة في الدنيـا ، ليُسْأل ويمتحن في قبره فهذا حق ونفيـه خطأ وقد دل عليـه النص الصحيح الصريح ، وهو قوله ﷺ فتعاد الروح أو روحه في جسده .

أما الإستـدلال بقوله تعـالى : ﴿ ربنا أمتّنـا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ فـلا ينفي ثبـوت هـذه الإعــادة العـارضـة للـروح من

(١) ثم طعن في صحة حـديث البراء به عـازب وقال إنه حـديث ضعيف لكن الواقع غير ذلك ، فهو حديث صحيـح ثابت مشهور مستفيض صححه كثير من الحفاظ ، ولا نعلم أحداً من أئمة الحديـث طعن فيه ، بل صححوه وتلقوه بالقبول ، واحتجوا به كأصل من أصـول الدين في عذاب القبر ونعيمه ، وسؤال الملكين ، والله المستعان .

الجسد، على أن قوله ثم تعـاد روحه في جسده لا يدل على مستقرة ، وإنما يدل على إعادة لها إلى البـدن ، وتعلق به والر لم تزل متعلقة ببدنها وإن بلي وتمزق[1] .

ثم يقول الإمام ابن قيم الجوزية أيضـاً : وأما قوله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتـي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليهـا الموت ويـرسل الأخـرى إلى أجل مسمى ﴾ فإمساكـه سبحانـه التي قضى عليها الموت ، لا ينـافي ردها إلى جسدها الميت في وقت ما رداً عارضاً لا يوجب له الحياة المعهودة في الدنيا [2] .

ثم يستـدل على ذلك أيضـاً بقـوله : " وإذا كـان النـائم روحه في جسـده ، وهو حي وحياتـه غير حياة المستيقظ ، فإن النوم شقيق الموت وأخـوه ، فهكذا الميت إذا أعيـدت روحه إلى جسده كانت له حال متوسطة بين الحي وبين الميت الذي لم ترد روحه إلى بـدنه كحال النـائم المتوسطـة بين الحي والميت " أ هـ بتصرف .

---

(١) بتصرف من كتاب الروح للإمام ابن قيم الجوزية بتحقيق السيد الجميلي .

(٢) وحقيقـة ذلك أن أحداً لا يستطيع أن يسمع من لم يشأ الله أن يسمعـه أي إنما جعل الله لك الاستطاعة على الإنـذار الذي كلفك إياه لا على إسماع من لم يشأ الله تعالى إسماعه .

تلقين الميت في قبره

" . . . جرى عمل الناس على تلقين الميت في قبره ، كذلك لم يرد حديث صحيح في هذا الصدد ، فهل معنى هذا أن التلقين سنة مندوب إليها ، أم مجرد عمل لا حجية فيه أم أنه مكروه ؟ . . . " .

إنه على الرغم من أن الحديث المذكور في معجم الطبراني[1] عن أبي أمامة هو حديث ضعيف ، إلا أن العمل

---

(١) أورد حديث التلقين صاحب سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٥٩٩) وفي كتابه (بدع الجنائز وأحكامها) ص ١٥٦ وفيه عده ضعيفاً وقال : « ويتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف ، والعمل به يدعه . ولا يغتر بكثرة من يفعله » . وقال ابن قيم الجوزية : في هذا التلقين حديث لا يصح » أهـ . من زاد المعاد (١ /٢٠٦) .

وقال الصنعاني في سبيل السلام (٢ /٥٧٧ ، ٥٧٨) : ـ « فيه عاصم بن عبد الله ضعيف » أهـ .

بالتلقين جرى عليه في سائر العصور ومختلف الأمصار من غير أن ينكر أحدٌ على أحد .

وليس ثمة وجه للإنكار متى كان المقبور سامعاً للأحياء ، فلو كان هذا التلقين بدعة ذميمة لأصفق على استهجانه علماء الأمة قدامى ومحدثين ، وهذا لم يحدث .

وقد ورد من حديث أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب ، فليقم أحدكم على رأس قبره ، ثم يقول :

يا فلان ابن فلانه ، يقول : أرشدنا رحمك الله ولكنكم لا تسمعون ، فيقول : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن إماماً ، فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما ويقول : انطلق بنا ما يقعدنا عن هذا ، وقد لقن حجته ، ويكون الله ورسوله حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله ، فإن لم يعرف امه ؟ قال : ينسبه إلى أمه حواء .

والثابت كما ذكر سلفاً ، وكما ورد في سنن أبي داود أن النبي ﷺ حضر جنازة رجل ، فلما دفن قال ﷺ : " استغفروا لأخيكم ، وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل " (1) .

---

(1) راجع أيضاً الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية للشوكاني (٢٦٨) وتلخيص الحبير (٢ / ١٣٦) وسبل السلام للصنعاني .

فإن كان المقبـورون حين الفراغ من الدفن يسألـون في التو واللحظة ، فلا بدع ، وليس عجيباً وقتئذ أن يسمعوا التلقين .

وبالتالي فإن من يسمع التلقين ، فإنه لا يمنع من إنتفاعه به من أراد الله سبحانه وتعالى له ذلك .

والحديث الصحيح في هـذا عنه ﷺ أن الميت يسمع قـرع نعالهم إذا وَلَّوْا عنه منصرفين (١) .

والقـرائن الثـابتة الصحيحـة في هـذا الشأن ، والأخبـار المتـواترة ، ورؤيـا الصـالحين تتواطأ كلهـا على تأكيـد هذا وقـد ذكـرهـا جميعاً وانتصر لها واحتج بها الإمـام ابن قيم الجوزيـة في كتابه (الروح) (٢).

ولئن كان الإستدلال بالرؤى والمنامات موضع جدل ونزاع على أساس أن الشريعة مبنية على أصول ولا تـؤخذ من المنامات ولا تعوّل عليها ، بيد أن هذه المنامات متى تواترت ، وتواطأت من الصـالحين والعلماء ، ومتـى عضـدتها القـرائن والأدلـة الأخـرى ، كما أنها لم تتعـارض مع أصـول شرعية أخـرى ، فـلا وكف ولا ضير ولا مشـاحـة من التعـويل عليهـا ، ووضعهـا موضع الإعتبار .

ولئن كـان إمام الفقهـاء ، وشيخ المجتهـدين أبو حنيفـة يقـول بقبول قـول المدعي للحـائط بوجـود الآجـر إلى جانبـه ،

---

(١) صحيح مسلم (٤ /٢٢٠١ / ٢٨٧٠) .

(٢) الروح لابن قيم الجوزية بتحقيق السيد الجميلي ص ٣٩ وما بعدها .

وبمعاقد القمط ، كما حكى القرآن الكريم الإحتجاج بقول الشاهد الذي حكم بالقرينة ــ وهو شاهد يوسف ـ وسمّاه القرآن شاهداً مع أنه لم يعاين الفعل ، وإنما شهد بالقرينة وتقرر بناء على شهادته صدق يوسف عليه السلام وكذب امرأة العزيز .

ولئن طعن طاعن في الإحتجاج بشهادة شاهد يوسف عليه السلام بالقرينة على الزعم بأن ذلك كان شرعاً لمن كانوا قبلنا ، وهو ليس شرعاً لنا على أحد قولين مشهورين للعلماء ، فإن هذا الإدعاء مردود ، ومدفوع ، لأن شرع الذين كانوا قبلنا يعتبر شرعاً لنا إذا قرره القرآن أو سكت عنه ، ولم يرده .

والقرآن في هذه الشهادة بالقرينة قد قررها ولم يردها ، أو يظهر بطلاناً لها على وجه من الوجوه .

ثم إن الحكم بالقرائن لإستنقاذ الحقوق ، ووضع الحق في نصابه السليم كان مشهوراً ومنقولاً بالتواتر عن قضاة وفقهاء المسلمين من العصور الأولى ، والأدلة المنقولة على هذا أكثر من أن تحصى .

من ثم فإنه لا محل للشك أو الطعن أو الريبة في سماع الميت الحي ، ومعرفته بزيارته له ، وانتفاعه بتلقينه إياه في قبره ، فإن هذا أولى وأحرى .

تلاقي الأرواح في القبور وتزاورها

" . . . ورد أن الأرواح في الحياة البرزخية إما في نعيم تمرح وتسعد ، وإما في شقاءتتألم وتعـذب ، . . . وقد ثبت أيضاً في الأحـاديث الشريفــة أنها تتـلاقى في القبـور وغيرهــا وتتـزاور وتتذاكر. . . فكيف يكون ذلك ؟ وكيف يتصور ذلك مع شدة عذاب القبر على بعض هذه الأرواح ؟؟ . . " .

الأخبار الـواردة عن عذاب القبر ونعيمـه حق وصدق ولا ينكرها مسلم بحال ، كذلك فإن تلاقى الموتى وتزاور أرواحهم ثابت أيضاً لا سبيل لإنكاره ، ولا محل للطعن فيه .

فإذا ما قيل بصعـوبة تصـور ذلك لأن بعض هذه الأرواح مشغولـة بما هي فيه من العـذاب ، وقد يكون مقبـولاً أن يكون ذلك في حق الأرواح المسرورة المنعمــة . . . نقــول إن الأرواح المعذبـة المحبوسة بـذنوبها مكروبـة مشغولة بما هي فيـه ، وهذا

حقٌ لا ينكر ، ولكن الأرواح السعيـدة الناجية فإنها تمرح وتسرح طليقة غير محصورة ، وغير محجور عليها ، وما أشبه ذلك بالدنيا حيث إن السجين الذي يقضي عقـوبة في السجن يكـون معزولاً مشغولاً بما هـو فيه ، لكن الطليق حر الحركـة حيثما شاء من غير إحصار أو تقييـد ، وما أولى وأحرى أن تكـون الأرواح كذلك في الحياة البرزخية في القبور .

ولئن كـان الطلقـاء يتزاورون فإننـا نـرى [1] أن هـذا فيـه تكميل . لمتعــة التنعــم ، وإفضـــال عليهم لتقــر عيــونهم في برزخهم .

كذلك فإن هذا لا يمنع من تلاقي الأرواح المعذبة أيضاً في سجـونها مثلما يتـلاقى السجنـــاء في دار الـدنيـا في سجـونهم ، ويتذاكرون ، وهذا أيضاً [1] من الإغراق في التعذيب والتنكيل ، فإن مشاهـدة العذاب في شتى صوره وأصعبهـا يجعل المقبور يئن تحت وطأة عذابه الواقع عليه ، ثم إذابـه أيضاً ينوء بأثقال خِلاَّنه وأصفيائه المكروبين مثله ، فلماذا لا يكون هذا التلاقي أيضاً من نوع العذاب الواقع عليهم في قبورهم ؟؟

وقـد أشار القـرآن الكـريم إلى هـذه المعيـة والمصاحبـة في

---

(١) هذا رأي المؤلف ، ويرجو أن يكون صواباً ، والله سبحانه وتعالى أكرم وأرجى أن يعفو ويصفح .

البرزخ في قـوله تعـالى : ﴿ ومن يطع الله والـرسـول فأولئك مع الـــذيـن أنعم الله عليهم من النبيين والصـــديقين والشهــداء والصالحين ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يـا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ (٢) .

أي ادخلي في جملتهم وكـوني معهم ، وهـذا يقال للـروح عند الموت .

ذكر ابن أبي الدنيا من حـديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال : إن أهل القبور يتوكفون الأخبار ، فإذا أتاهم الميت قالوا ما فعل فـلان ؟ فيقول صالح : فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقـول : ألم يأتكم أو ما قدم عليكم ؟ فيقـولون : لا ، فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، سلك به غير سبيلنا .

---

(١) النساء (٤ / ٦٩) .

(٢) الفجر (٨٩ / ٢٧) .

تلاقي أرواح الموتى والأحياء

" . . . ليس غريباً أن يكون هناك التقاء بين أرواح الموتى وأرواح الأحياء لما كان هناك تزاور وتلاقي بين أرواح المقبورين ، بل لعل الأول أيسر ، ولعل الأدلة والقرائن أبين وأدل وأحجى عليه ، نرجو البيان والتبيين . . . " .

إن أقوى دليل هو ما ورد وصرح به القرآن الكريم ، وهو قوله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت و يرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [1] .

ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي بسنده في قوله

---

(١)الزمر (٣٩ / ٤٢) .

راجع القرطبي (٥/ ٢٥٩) وما بعدها ، ومختصر ابن كثير (٣ / ٢٢٢) والتفسير الكبير للفخر الرازي (٢٦ / ٢٨٥) .

تعالى : ﴿ والتي لم تمت في منامها ﴾ قال : يتوفاها الله فيلتقي روح الحي ، وروح الميت فيتذاكران ، ويتعارفان ، قال : فترجع روح الحي إلى جسده في الدنيا إلى بقية أجلها ، وتريد روح الميت أن ترجع إلى جسده فتحبس .

وللعلماء في تأويل هذه الآية الكريمة قولان مشهوران : الأول : أن الروح الممسكة من توفيت الوفاة الكبرى أي وفاة الموت أما المرسلة فهي تلك التي توفيت الوفاة الصغرى وهي وفاة النوم .

أما القول الثاني : هو أن الروح الممسكة والمرسلة كلاهما توفي وفاة النوم ، فالتي استكملت أجلها أمسكها عنده ، فلا يردها إلى جسدها ، ومن لم تستكمل أجلها ، ردها إلى جسدها لتستكمل ولتستوفي أجلها .

ثم إن رؤيا الحي للميت في منامه ، ومخالطته له ، ومحادثته معه وإخبار الميت الحي ببعض الأمور ـ لهو أقوى دليل وأثبت قرينة ، وأحجى برهان على التقاء أرواح الأموات والأحياء .

إن الاخبار الصحيحة التي يدلي بها الميت في المنام إلى الأحياء ، ويثبت أنها عين الحقيقة إنما تدل على التقاء تام واتصال كامل بين الروحين روح الميت ، وروح الحي .

هل الفناء المحض يدرك الأرواح ؟

" . . . هل يـدرك الأرواح الفنـاء المحض ؟؟ أم أنـه مقصـور على البـدن وحـده ؟ أم على كليهما الـروح والبدن؟ . . . " .

تنازع النـاس واختلفوا وتباينوا في هـذا الأمر كثيراً ، ولكل منهم أدلته وقـرائنه وبـراهينه ، ونوجـز هذه الخلافـات في قول طائفـة إن كل مخلوق هالك ، ينتهي إلى العـدم المحض ، وهذا ما دل عليه القرآن الكريم في قـوله تعالى : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [1] .

(١) الرحمن (٥٥ /٢٦) .

راجع تفسير القرطبي (١٧ / ١٦٤) والطبري .

واحتجوا أيضاً بقوله تعالى : ﴿ كل شيء هالكٌ إلا وجهه﴾[1] .

فإذا كان النص هكذا عاماً وصريحاً وقاطعاً فإنه لا محل ولا تسويغ للخروج عنه بالتأويل غير المقبول فإن معنى النص أن كل مخلوق أيلولته للعدم محتومة .

بيد أن هناك طائفة أخرى أصبحت على نقيض ذلك وعكسه ، وقالت : لا تموت الأرواح ، لأنها مخلوقة للبقاء على التأبيد ، وهي لا تبيد كما تبيد الأبدان ، فلا موت للأرواح عندهم .

وقال هؤلاء أيضاً : لو أن الأرواح ماتت ، لا نقطع عنها العذاب والنعيم الذي تشعر به .

واستدلوا على قولهم هذا بأنه على الرغم من الموت للبدن ، ومفارقة الأرواح الأجساد إلا أن الشهداء أحياء عند ربهم ، أي إن أرواحهم لم تمت بموت أبدانهم ، وبانفصال الأرواح عن تلك الأبدان .

---

(١) الرحمن (٥٥ / ٢٦) .

راجع تفسير القرطبي (١٧ / ١٦٤) والطبري .

قال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذيـن قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحيـاء عنـد ربهم يـرزقـون فـرحين بما آتـاهـم الله من فضلـه ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ﴾ (١) .

أما القـول الحق الذي نرتضيه ، هـو أن موت الأرواح غير موت الأبدان ، فإن موت الأرواح إنما هو مجرد مفارقتها للبدن ، والإنفصـال عنه ، وليس معنى هـذا أيلولتهـا بعد ذلك للعـدم المحض .

أخبر الحق جل شأنـه على أن أهل الجنـة لا يمـوتـون إلا الموتـة الأولى لقولـه تعالى : ﴿ لا يـذوقـون فيها الموت إلا الموتـة الأولى ﴾ (٢).

وقد اتفق على أن الموت ليس عدمـاً محضاً ، ولكنهُ انتقال من حال إلى حال .

---

(١) آل عمران (٣ / ١٦٩ ، ١٧٠) .

(٢) الدخان (٤٤ / ٥٦) .

راجع القرطبي (١٦ / ١٥٥) وجامع البيان للطبري (٢٥ / ٨٢ ، ٨٣) .

تعلق الروح بالجسد

« . . . ما أنـواع تعلق الروح بالجسد ، ومـا أحوال ذلك التعلق في الدنيا وفي الحياة البرزخيـة ؟ مع ذكر ما يطرأ من تغيير في كل طوْر من أطوار التعلق . . . » .

إن للروح بـالبدن أنواعـاً خمسة من التعلق لكل نـوع منها حكمه الخاص الـذي ينفرد به ويقتصر عليه دون مـا عداه من الأنواع الأخرى .

الأول : تعلق الروح بالجسم في بطن الأم جنيناً .

الثاني : التعلق به بعد الولادة وانفصاله عن أمه .

الثـالث : التعلق بـه جـزئيـاً حال النـوم ، ومفـارقتـه ، ومزايلته جزئياً .

الرابع : التعلق به في الحياة البرزخية .

الخامس : التعلق به يوم البعث للحساب والجزاء .

والتعلق الخامس والأخير هـــو التعلق الأكمل والألـــزم والأظهر والأحكم ، لأنه تعلق على التأبيد ، لا تنفك الروح عن الجسد إلى غير انتهاء .

أمـا مـا ورد عن رسـول الله ﷺ عن رؤيـة الأنبيـاء عليهم السـلام ، ليلـة الإسراء فقـد رأى بعض علماء الحديث أنـه رأى أشباحهم أو أرواحهم ، إذْ إنهم أحياء عند ربهم .

فقد رأى رســول الله ﷺ إبراهيم عليه السلام مسنـداً ظهره إلى البيت المعمـور ، كما رأى موسى عليـه السلام قـائماً يصلي في قبره ، ثم نعت أشبـاحهم ، فأما مـوسى فرآه أدمـاً ضرباً طـوالاً كأنـه من رجال شنـوءة ، وقد رأى عيسى بن مـريم يقطر رأســه كأنما أخرج من ديماس ، ورأى إبراهيم فشبهه بنفسه .

قال علماء آخرون إنْ الأجساد كانت في الأرض وأنه ﷺ إنما رأى أرواحهم .

وإن الثابت في الأخبار المتواترة الصحيحة أن الله تعالى حَرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء [1] .

---

(١) لأجل ذلك فـانهم أحياء في قبـورهم ، لا تنـال الأرض منهم شيئاً . انظـر أيضا المسند (٤ / ٨) .

وثبت في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال : " إن الله حرَّم الجنة على الأنبياء حتى يدخلها هو ﴾ [١] وأنه ﷺ " أول من تنشق عنه الأرض " [٢] وأنه " أول من يدخل (أو يستفتح) باب الجنة " [٣] .

ثبت أيضاً أن الأعمال تعرض عليه ﷺ في قبره، ولما سئل عن ذلك من الصحابة كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ فقال : إن الله حَرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء [٤] .

تشير الأدلة القواطع إلى أن روحه ﷺ في أعلى عليين ، وفي نفس الوقت فإن البدن الشريف في القبر يرد السلام على من يسلم عليه من أمته .

كما أن هناك ملائكة موكلين بتبليغه السلام عن أمته

إنه ﷺ رأى موسى يصلي في قبره ، ثم بعد قليل رآه في السماء السادسة أو السابعة ، إذ إن الروح كانت في السماء ، ولها تعلق بالبدن المقبور في الأرض ، إلا أن هذا البدن ليس ميتاً

---

(١) لأنه أول من يدخل الجنة .
(٢) مسند الإمام أحمد (٣ / ٢ و ٣٢) .
(٣) أحمد في المسند (٣ / ١٤٤) .
(٤) أخرجه الأمام أحمد في المسند (٤ / ٨) .

كما البشر لأن الأرض لا تأكل أجسادالأنبياء ، وهم جميعاً عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم .

وهناك اتفاق ، واصفاق ، وتواطؤ بين كثير من المفسرين على أن قوله تعالى : ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ إنما أريد به سماع الإنتفاع ، أي إن الكفار موتى القلوب فلا يسمعون سماعاً ينتفعون به كما أن الموتى لا ينتفعون بسماعهم .

وليس هذا دليلاً على نفي السماع مطلقاً ألبتة .

عذاب القبر على الروح والبدن معاً

" . . . لأهل الكلام أقوال ولأهـل الحديث والسنة أقوال عن عذاب القبر هل يقع على البـدن ، أو هو على الروح أو على الإثنين معاً ، وقد تنازع الناس تنازعاً طويلاً ، واختلفوا اختلافاً بعيداً ، فما هو الحق والصواب ؟؟ . . . " .

إن مذهب أهل السنة والجماعة بـاتفاق يذهب إلى أن كلا العذاب والنعيم في القبر يقع على النفس والبدن جميعاً .

قيل إن الروح تعذب وتنعم متصلـة بالبدن ، وتنعم أيضاً وتعذب منفردة عنه . إلا أن العذاب والنعيم للبدن بدون الروح فهـــو عنـــد أهل السنـــة والحديث والمتكلمين على قـــولين مشهورين .

ثم أقحمت المدخـولات نفسهـا بين هـذه الآراء من هنـا

وهناك ، وفيها ما فيها من الأقوال الشاذة ، والأقوال المنكرة وغير الصحيحة .

وللفلاسفة المنكـرين للمعاد والبعث رأي فحواه أن النعيم والعـذاب يقعـان على الروح فحسب ، وأن البـدن لا يقع عليـه نعيم أو عذاب البته ، وهم كفار بإجماع المسلمين .

بيد أن المعتزلة ، وبعض أهل الكـلام والذين يقرون بالمعاد والبعث يقـولـون إن عـذاب البرزخ على الأرواح وحسب ، أمـا البدن فلا يعذب مع الأرواح إلا بعد البعث من القبور ، أي إنهم يرون عذاب الأرواح في البرزخ أمـا البدن مع الروح فيعـذبان يوم القيامة معاً .

من ثم كانت هناك ثلاثة أقـوال خاصة بعذاب القبر ، إما أنه على الروح فقط ، وإمـا أنه على الروح والبدن معـاً ، وإما أنه على البدن وحده وحسب .

والناس في تنازعهم على أحـوال البرزخ والحياة في القبر من حيث النعيم والعذاب بين مؤيد آخذ بأحـد هذه الأقوال الثلاثة ورافض للقـولين الآخرين ، وبين منكـر ومتردد ، أو مؤيـد لهذا ورافض لذاك ، أما القول البـاطل اللجوج غير الصحيح فهو ما ذهب إليه المعتزلة ، وطوائف من أهل الكلام ، والأشاعرة من أن

الـروح بمفردهـا لا تنعم ولا تعـذب كما أنهم ينكرون أن الـروح تبقى بعد مفارقة البدن وهذا القول باطل وغير صحيح بالمرة .

إن الثـابت بـالكتاب والسنـة واتفـاق علماء المسلمين أن الروح تبقـى بعد فـراق البدن ، وهي إمـا منعمة أو معـذبة ولا يكاد يختلف على ذلك إلا قليل ممن لا يؤبه بهم ولا بآرائهم .

وقد ضل كثير من الفـلاسفة وأهل الكـلام عندمـا زعموا بأن البرزخ لا يوجد فيه نعيم أو عذاب وهم بذلك ما هو معلوم من الـدين بـالضرورة ، ويعـارضـون نص الكتـاب والسنـة ، وإجماع علماء المسلمين .

بيـد أن أخطـر هذه الأقـوال ، وأبشع الفـريـات إنما هي المقـرونة بإنكـار البعث والمعـاد لأن في ذلك خروجـاً عن إجماع المسلمين ، وإنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة .

* * *

إنه في زحمة هذه الإختلافات ، وتباين الآراء والأقوال لا بد من الإشارة إلى مـذهب السلف والأئمة المعتبرين من هـذا وهو أن الميت إذا وضع في قبره يكـون في نعيـم أو عـذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه .

كما يرون أن الروح تبقى بعد مفارقة البدن ومزايلته في تنعيم أو تعـذيب ، وأن هنـاك اتصالاً وثيقـاً ، بينهـا وبينـه في بعض الأحيان ، من أجل ذلك يحصل لها معه النعيم أو العذاب .

في القيامة الكبرى تعـود الأرواح إلى أجسادها وتنهض من القبور فتقـوم لرب العالمين ، وهـذا المعاد مصدق بـه من الأديان الكتابيه وهو من أصول عقيدة المسلمين .

من ينكر عذاب القبر

" . . . ما جزاء من ينكر عذاب القبر ؟ وما أوجه الخلاف وتفاوت الإنكار حوله ؟ . . " .

إن عذاب القبر ثابت بمقتضى السنة الصحيحة والأخبار الصحيحة المتواترة والمشهورة من غير نكير من الأدلة والبراهين والقرائن الثوابت .

ولا ينكر عذاب القبر إلا ضال مضلل مضل ، إذ إن الذي يرد ما جاء به النبي ﷺ يكون راداً لأمر الله تعالى الذي أمرنا بقبوله واتباعه ، وقد قال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه[1] وما الرسول ﷺ إلا مبلغٌ أمر ربه ، من ثم كان واجباً على المسلم القبول والرضى والتسليم وأما ما لا يوافق عقل الإنسان ، أو يخرج عن دائرة تصوره وفقهه وفهمه ، ـ فإن عليه

---

(١) الحشر (٥٩ / ٧) .

الإيمان به والقبول له ، وتفويض الحقيقة فيه لله سبحانه وتعالى .

ذهبت طائفة من المعتزلة منهم أبو علي الجبائي الشيخ المعروف إلى حقيقة عذاب القبر ، ولكنهم جعلوه مقصوراً على الفساق والعصاة ، والهالكين على التأبيد الخالدين في جهنم أبداً ، وجعلوه منفياً عن المؤمنين والصالحين الناجين

وأقول : إن هذا التقييد لم يرد في كتاب الله ولا في السنة الصحيحة ما يشير إليه أو يقره من قريب أو بعيد . حيث إن الأخبار جاءت على عمومها ، حتى إن التخصيص في بعضها لا يدل على نفي عموم البعض الآخر .

ثم إن الكرامية المجسدة كانوا ذهبوا إلى التسليم بحقيقة عذاب القبر على المؤمنين ، لكن هذا يكون مقصوراً على الأبدان وحدها من غير أثر له على الأرواح ، وهذا باطل ظاهر البطلان .

ردود على الملاحدة

" . . . لقد عمد بعض الناس إلى مراقبة القبور والمقبورين بعد الدفن في القبور ، فلم يجدوا ناراً ولا فسحة ولا ملائكة ولا مقامع ولا شيء من هذا ولا ذاك على الإطلاق ، فما القول في هذا وبم يعلل في مواجهة النصوص الصحيحة التي تقطع بنعيم القبر وعذابه ؟ . . " .

إن الكلام على القبر وعذابه ونعيمه ، بل على الحياة البرزخية إجمالاً إنما هو كلام على الغيب الذي تختلف أحواله وأحكامه عن أحوال وأحكام الدنيا ، لأن عالم الغيب يختلف اختلافاً كبيراً لأن قوانينه ، واحكامه نعرفها تماماً ، وأيسر ذلك أن اليوم في الدنيا غير اليوم في الآخره وإن تشابهاً للأسماء في الدنيا غير طبيعة المسميات في الآخرة فالأسماء واحدة والمسميات مختلفة تماماً .

وليس ضرورياً أبداً أن يناسب كل شيء في الغيب مع العقل البشري ، إذ إن العقل الإنساني محكوم أيضاً ، بقوانين الدنيا ، ومع هذا ظهرت أشياء في الدنيا فوق محيط العقل وخارجة عن دائرة الزكانة ، وبعيدة عن الإحتمالات ، ولولا أن القرآن الكريم حدثنا عنها لكانت خارج نطاق التصور والتخيل .

مثلاً أي عاقل يصدق أن تتكلم نملة ، فيسمعها إنسان ، ويفقه قولها ؟ ثم من يصدق أن يتكلم طفل وليد في المهد ، إلى غير ذلك من الخوارق والمعجزات ، إن الخوارق التي لا تدركها العقول لمخالفتها المتواتر والمألوف لا بد من تصديقها لأنها معجزات النبوة ، ولولا أن التصديق لها والتسليم بها من الأمور الواجبة المحتومة ، بل وجعلها أصلاً من أصول الدين ـ لما كان للإيمان بالغيب معنى ولما كان الإيمان بالغيب لازماً .

إن الإيمان بالغيب تسليم بالثقة بقدرة الحق سبحانه تعالى : لأنه قادر على كل شيء ، وأنه وحده القائل للشيء كن فيكون ، وأنه عز وجل إذا أراد شيئاً لا يمنعه شيء ﴾ .

لما أراد بعض الماديين أن يحققوا ويستثبتوا من عذاب القبر ونعيمه ــ على حد فكرهم ــ فوضعوا عدسات ومجاهر وأجهزة تنصت وتسجيلات ، ولكنهم لم يجدوا ولم يسمعوا شيئاً ، وبهذا كانت حجتهم للإنكار . . .

وإن كل ما عمدوا إليه وفعلوه ليس ذريعة ، ولا فيه أدنى

حجة لمجرد الإرتياب أو الشك على الإطلاق إذ إن القبر وعذابه ونعيمه من غيب الله الـذي لم يطلع عليه أحداً ، وقـد رآه رسول الله ﷺ بمقتضى النبـوة ، ولكن هذا محجـوب عنا ، لا تـدركه حـواسنا البشريـة المحدودة ، لأن أحـداثه الجسـام لا تناسبهـا التركيبة البشرية البسيطة .

ثم إننـا نلفت النظـر إلى مسألة دقيقـة لطيفـة ، وهي أن الروح قد حجب الله علمها عنا وجعلها من أمره وحده سبحانه وتعالى ، فكيف نعرف أحكامهـا ومتعلقاتها وأحوالها ، ونميزها من غيرهـا وهي محجوبـة عنا أصـلاً ، لا نعرف لها تكـويناً ولا تركيباً ولا صورة ولا هيئة ولا أمارة . . .

لما سئل الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ عن الإستواء في قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ قال : الإستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

ومـا قال مـالك هذا إلا لأنـه ـ وهـو من هو علماً وفقهـاً ونسكـاً وتـورعـاً ـــ يعلم تمامـاً أن ذلك من غيب الله ولا تخلـو المجازفة في الخوض فيه من خطر شديد غير مأمون العاقبة

بل إن كثيراً من العلماء والصـالحين يـرون في الكـلام على مثل الأمور الغيبيـة حرجـاً شديـداً فيؤثرون السكـوت عن ذلك سلـوكاً لسبيل التحـوط ، وإيثـاراً للسلامـة ، لأن في الجدل في ذلك واللجاجة ما فيها من أخطار .

لذلك فإن الذي يطبق أحوال عالم بقوانين عالم آخر يعتبر

من الغالين والمسرفين بل والجاهلين .

نحن نعرف أن هناك ثلاثة عوالم ، الدنيا وما يتصل بها من قوانين وأحكام ، كذا فإن القبر والحياة البرزخية محكومة بقوانين وأحكام خاصة مغايرة ومخالفة لأحكام الدنيا تماماً .

ثم إن البعث والحشر والجمع يوم القيامة ، والعرض على الله تعالى والجنة والنار وأحكام الحياة الآخرة ، وقوانينها الخاصة بها أيضاً تختلف عن الدنيا وعن الحياة البرزخية تماماً .

وكما أسلفنا فإنه من الخطأ الجسيم أن تسبر غور عالم بقوانين عالم آخر ، وهذا ضرب من المحال وفيه من المغالاة ما يضر بعقيدة المفتون المستدرج .

إن كل عالم من هذه العوالم الثلاثة له ما يناسبه من الأحكام والقوانين ، وهي غيب لا يعلم حقيقته إلا الله سبحانه وتعالى .

ثم إن المحاولات لإستقصاء التفصيلات التي حجبت عنا ما هو إلا علم لا ينفع ، وجهل لا يضر بل إن الفتنة في مثل هذا أخطر وأدنى ، والسكوت عنه أحرى وأقمن وأوجب بل وأسلم أيضاً .

المعروف أن الأنبياءوالمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ قد جاؤوا بأخبارهم على قسمين :

الأول : ما يوافق العقول ، ومقتضيات الفكر البشري المعاصر لكل منهم .

الثاني : ما لا تدركه العقول والأفهام وهو الغيب وينضوي تحته الحياة البرزخية في القبور، ومواقف يوم القيامة ومشاهدها .

ثم إن الإيمان بالغيب واجب وأصل من أصول الدين ، لأنه يكون تصديقاً وثقة بالله تعالى وما يأتي به رسوله ﷺ بإذنه من أخبار . وغيبيات فوق ما تدركه العقول والفهوم .

قال تعالى : ﴿أفمن يعلم أنما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الألباب﴾ (١).

قال تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ (٢) .

وذكر عن سماك بن حرب قال : مر أبو الدرداء بين القبرين فقال : ما أسكن ظواهرك ، وفي داخلك الدواهي .

إنَّ الذي يتأمل قدرة الله ، فإنه لا يتعاظمها شيء ، ومتى كان الفعل أو الشيء منصوصاً عليه ، وارداً في الأخبار الصحيحة ، فلا وجه إلى البحث عن الكيفية ، أو عن الفعل أو المناط والعلة .

---

(١) الرعد(١٣ /١٩) .

(٢) الواقعة (٥٦ / ٨٣ ، ٨٤) .

على من يقـدر الله حق قدرتـه ، ويقر بـالنبوة على الـوجه الإيماني الصحيح أن يقبل كل خبر إيماني بـالتصـديق المطلق من غير أدنى ترجم أو تظني أو حدس أو تحزير .

لما قيل لأبي بكـر رضي الله عنـه : إن صـاحبك يـزعم أنـه أسري به الليلة ، ثم عرج إلى السماوات العلا . . ما كان من أبي بكـر ــ رضي الله عنـه ـ إلا أن قـال : لئن كـان قـال ذلك لقـد صدق . هذا هو اليقين الإيماني الصادق ، والثقـة بكل ما جاء به رسول الله ﷺ ، لأنـه الصادق الصدوق فوق كل ريبـة ، وأبعد من أيّ ظنة .

عذاب القبر محجوب عن البشر. لماذا ؟

" . . . لماذا كان عذاب القبر محجوباً عن البشر ؟ . . "

إن العلة في كـون عذاب القبر محجـوباً عن البشر ــ هي الـرحمة ، والحدْب والشفقـة على خلق الله ، إذ إنهم لا يطيقـون رؤية تلك المشاهد أو سماعها لأنها كالصواعق المرسلة ، تخطف الأبصار ، وتشيع الذعر بين الرائي لها وسامعها .

عذاب القبر للمحروق والمصلوب والغريق

" . . . كيف يكون عذاب القبر للمحروق الذي أصبح رماداً أو صار جسمه ذرات دقيقة متناثرة ، كذلك المصلوب ، والغريق مع أن أحداً من هؤلاء لم يقبر ، وليس موضوعاً في قبر حتى ينسحب عليه ، وينضوي تحت أحكام المقبورين من العذاب أو التنعيم ؟ . . " .

إننا قلنا في أكثر من مرة وموضع إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً لا يمنعه شيء .

إن الذي أمره بالكاف والنون ، بيده مقاليد كل شيء لا يستعصي عليه فعل ، ولا يخرج عن إرادته أي شيء مهما كان ، لأنه القائل للشيء كن فيكون .

(١) يس (٣٦ / ٨٣) .

راجع الطبري (٢٣ / ٢١) والقرطبي (١٧ / ٥٧) والبحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٤٧) .

﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ (١) .

كذلك فإن عـدم وقوف العقل البشري ، والحس الإنساني على حقيقة الأشياء ـ ليس هذا دليلاً يقدح في وجودها وكثير من الأمور الشرعية يؤديها المكلفـون ولا يراهـم أحد ولا يعرف ذلك ، فـلا يسمع الإنسان تسبيح الحصى والشجـر والجبال وغيرهـا ، وليس معنى عدم السماع ـ الإنكار أو القدح في العقل ، والطعن عليه والزراية منه والريبة فيه .

قـال تعالى : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمـده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (١) .

وقـال عز من قـائل : " إنا سخـرنـا الجبال معـه يسبحن بالعشيّ والإشراق " (٢) .

وقال أيضاً : " يا جبال أوّبى معه " (٣) .

وقال : " ألم تر أن الله يسجد له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه " (٤).

وقال : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات والأرض والشمس والقمر والنجـوم والجبال والشجـر والدواب وكثير من الناس وكثير حقّ عليه العذاب ﴾ (٥).

---

(١) الإسراء (١٧ / ٤٤) . راجع القرطبي (١٠ / ٢٦٦) .

(٢) ص (٣٨ / ١٨) .

(٣) سبأ (٣٤ / ١٠) .

(٤) النور (٢٤ / ٤١) .

(٥) الحج (٢٢ /١٨) .

عذاب القبر ونعيمه
هو عذاب البرزخ ونعيمه

" . . . هل عذاب القبر ونعيمه هو نفسه عذاب البرزخ ونعيمه ، أم أن هذا غير ذاك ؟؟ . . . "

إن الحق الذي لا يقبل الإمتراء ، والصدق غير المدحوض هو أن عذاب القبر ونعيمه هو نفسه عذاب البرزخ ونعيمه . ثم إن القبر أو البرزخ إما روضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من حفر النار .

كذلك فإن المصلوب والغريق والمحروق ، وأكيل السبع والطيور والوحوش له نصيبه في البرزخ من النعيم والعذاب ، وهذا النعيم أو العذاب يقع على الذرات والدقائق المتناهية الصغر .

إن هـذه الـدقائق والـذرات غير المرئيـة يقع عليهـا النعيم والعذاب بالطريقة التي لا نعلمها نحن ، وهي لا تستعصي على بـارئها وخـالقها ، لأنـه قـادر على أن يفعل ما يـريد إذ إن أمـره بالكاف والنون ، لأن قدرته غير محدودة .

مراجع الكتاب الأساسية

١ـ القرآن الكريم
٢ـ أحوال الموتى وسؤال الملكين في القبر للسيد الجميلي .
٣ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي بتحقيق السيد الجميلي .
٤ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام ابن قيم الجوزية .
٥ـ الروح لابن قيم الجوزية .
٦ـ تفسير الألوسي .
٧ـ تفسير الطبري .
٨ـ تفسير القرطبي .
٩ـ تفسير الجلالين .
١٠ـ تفسير الكشاف للزمخشري .
١١ـ تفسير ابن كثير .
١٢ـ تفسير البيضاوي .
١٣ـ تفسير ابن عباس .
١٤ـ سنن أبو داود .
١٥ـ سنن النسائي .
١٦ـ جامع الترمذي .
١٧ـ سنن ابن ماجه .
١٨ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل .
١٩ـ صحيح البخاري .
٢٠ـ صحيح مسلم .
٢١ـ الجامع الصغير للسيوطي .
٢٢ـ المقاصد الحسنة للسخاوي .
٢٣ـ جمع الجوامع للسيوطي .
٢٤ـ مواقف يوم القيامة للسيد الجميلي .
٢٥ـ مستدرك الحاكم .
٢٦ـ نيل الأوطار للشوكاني .
٢٧ـ نصب الراية للزيعلي .
٢٨ بداية المجتهد ونهاية المقتصد .
٢٩ إحياء علوم الدين للغزالي .
٣٠ـ كشف الخفاء للعجلوني .

فهرس الكتاب